

الأبْعُونِ
فِي فُرُوضِ الْأُمَّةِ

الأربعون

في فضائل الأئمة

تأليف

الدكتور همام عبد الرحيم سعيد الدكتور هشيم عبد الغفور صبري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن دعا بدعوته، واستن بسنته، وسار على منهاجه إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا كتاب «الأربعون في فروض الأمة»، جمعنا فيه أربعين حديثاً صحيحاً من أحاديث رسول الله ﷺ، حرصنا في جمعها وانتقائها أن تكون مما يبين واجبات الأمة المسلمة في هذا العصر أمام ربها تبارك وتعالى، ثم أمام وجودها كياناً عزيزاً منيعاً، وذلك فرع عن تقسيم الفروض إلى نوعين: فروض عين، وهي الفروض المطلوبة من كل فرد من أفراد الأمة على حدته، كفرض الصلاة والزكاة والصيام والحج. وهنالك فروض كفاية، يتوجه الطلب فيها إلى الأمة بمجموعها، فتأثم مجتمعة إذا فرطت فيها، وتؤجر مجتمعة إذا تحقق هذا الفرض بمن يقوم به من أفرادها.

والجدير بالذكر أن هذه الفروض هي المسؤولية عن أعظم المهمات وأعم الواجبات، فتحكيم الشريعة وإقامة الخلافة فرض كفاية على الأمة، والوصول بالمسلمين إلى العزة والتمكين والفتح والنصر فرض كفاية، والعلم، طلبه وتعليمه ونشره فرض كفاية، والدعوة إلى الله تبارك وتعالى،

بمعرفتها ونشرها وتبليغها وإيصالها إلى الناس كافة هو فرض كفاية، والجهاد لإعزاز الدين ونصرته، وقمع الظالمين والتخلص من شرور الجبابة والطغاة، ونشر العدل، ومنع الجور، ورحمة المستضعفين في الأرض، وحماية الدين فرض كفاية، ويدخل في ذلك رعاية ما عظم الله شأنه وقده من البلاد، لأنها الأولى بالحماية والنصرة. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهما يقوم الدين، وعليهما تعتمد شريعته، وتحقق أوامره ونواهيه، وقد ميز الله أمة الإسلام بكونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فاستحقت بذلك أن تكون خير الأمم، وهذا فرض كفاية كذلك.

ورعاية مصالح الأمة في توفير ما تحتاج إليه في شؤون الحياة المختلفة من زراعة وصناعة وتجارة، بما في ذلك اكتشاف الثروات، وتوسيع قاعدة الإنتاج، والوصول إلى درجة الكفاية، فرض كفاية على الأمة.

وهذا الجانب من فروض الأمة عانت الأمة كثيراً من ضياعه، والتقصير فيه، حتى تغلبت فروض الأعيان على فروض الكفايات، وما أصاب أمتنا في هذه الأيام من ذهاب هيبتها وقوتها وعزتها ومكانتها بين الأمم إنما هو بسبب هذا التفريط والتقصير في هذه الفروض.

وبعد التأمل في مكانة هذه الفروض من حيث بناء الأمة وقيامها، وعوده دورها، فقد تبين كما هو معلوم عند العلماء أن فروض الكفايات تحقق ثلاثة أمور ذكرها الإمام الشافعي في كتاب «الرسالة» عند حديثه عن فرض الجهاد، فقال: «فيكون من قام بالكفاية في جهاد من جاهد من المشركين مدركاً تأدية الفرض، ونافلة الفضل، ومخرجاً مَنْ تَخَلَّفَ من المأثم»^(١).

(١) انظر «الرسالة» للإمام الشافعي ص ٣٦٠.

موضوعات الكتاب

وقد جاءت موضوعات هذا الكتاب وترتيب الأحاديث فيه على نسق يفصل في هذه الفروض، فكانت البداية مع العلم والعلماء في تأصيل دورهم، وبيان عظيم أثرهم في البناء والتوجيه والتمكين، والإسلام يرشد إلى طلب جميع المعارف والعلوم الأخروية والدنيوية في شتى مناحي الحياة. وتعطيل العلم في حياة الأمة، والتقليل من شأنه ودوره، أو التلاعب في أهدافه ومقاصده من أخطر ما يُعرض الأمة للهلاك. لذا نجد أعداء الأمة من أكثر ما يستهدفون في بلادنا المناهج التعليمية والعلماء الربانيين والخبراء المتخصصين.

ثم كان موضوع فرضية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لما في هذا الفرض من إزالة غربة الدين من حياة الناس، وجعله معروفاً عندهم، متداولاً في حياتهم، حاكماً لشؤونهم، موجهاً لأخلاقهم، معرّفاً لمصالحهم. كما يكون هادماً لباطلهم، كاشفاً لزيوفهم، محرراً لهم من عبودية الشهوات، ومنقذاً لهم من أخطار الشبهات.

ثم بعد ذلك كان موضوع فرضية الجهاد، الذي فيه عزة الأمة وشوكتها وحماية كيانها، وتحرير أرضها ومقدساتها، لما فيه من تعدد الأنواع والأساليب والوسائل؛ بالسنان، أو اللسان، أو المال، أو غيرها.

ومن ذلك التحذير من التفريط في أمر الجهاد، أو تعطيله، في حين أن الجيوش والإعداد العسكري، والدفاع عن كيان الدول وأرضها وشعبها هو من الأسس التي تقوم عليها أي دولة في كل زمان ومكان، أما أن يعطل الجهاد

في هذا الزمان بذرائع انهزامية وتخاذلية، فإنما هو من قبيل الاستعمار السياسي الذي يفرض على الأمم الانصياع والانقياد له.

ثم كان موضوع البشائر بانتصار الإسلام وتمكينه وعودته إلى النفوذ والفاعلية بين الأمم، وإقامة دولة الإسلام عزيزة منيعة، وهذا مبني على حقيقة أكدها القرآن الكريم في كثير من آياته، أن مستقبل الأمة يبشر بالنصر والتمكين، وهي أمة خالدة تالدة باقية إلى قيام الساعة، ولتحقيق هذه البشائر، فإنه يلزم الأمة العمل الدؤوب، والأخذ بأسباب النصر والتمكين، واعتماد العلم، وما وصلت إليه البشرية من تقدم وحضارة، وتوظيف فروض الأمة السابقة في تحقيق هذه البشائر.

ولما كان غياب هذه الفروض - في الأغلب - من واقع المسلمين، وقد أصابهم ما أصبهم من ضياع أقدس بلادهم وتهديد بقيتها الباقية، كان موضوع تحرير بيت المقدس، والمحافظة على قاعدة الإسلام في بلاد الشام، لذا جمعنا فيه أهم الأحاديث التي تتكلم عن فضائل بيت المقدس وبلاد الشام.

منهجنا في هذا الكتاب

حرصنا في هذا الكتاب أن نختار أربعين حديثاً صحيحاً، أغلبها من صحيح البخاري ومسلم. وشرحناها شرحاً موجزاً، عالجت فيها أهم ما تحتاجه الأمة في هذا العصر من هذه الأحاديث، لذا كان من منهجنا ربط الحديث بالواقع المعاش سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ودعواً جهادياً، وربطه بأهم الأحداث التي تمر بها الأمة اليوم. والتمسنا في هذه الأحاديث العلاج المناسب لقضايانا المعاصرة.

وقد قسمنا الشرح إلى عدة موضوعات رئيسة، تبدأ بتعريف مختصر بالصحابي راوي الحديث، ثم معاني الغريب في الحديث، ثم المعنى الإجمالي للحديث، مقسماً إلى عناوين نسلط فيها الضوء على أهم الجوانب في الحديث، ثم نتكلم عن أهم ما يرشد إليه الحديث، ونختتمها بما نراه مناسباً للعلماء والدعاة مما يرشد إليه الحديث.

هذا، ونسأل الله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله منا بقبول حسن، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يكون خطوة على طريق نهضة الأمة، واستعادة كيانها، وبناء حضارتها. فإن أحسنا فمن الله تعالى، وإن كان غير ذلك فمننا ومن الشيطان، راجين من كل من يقرأ هذا الكتاب أن يتلطف علينا بإبداء ما يراه من التصويب والتوجيه. والحمد لله رب العالمين.

المؤلفان

الثلاثاء ٢٧ رمضان ١٤٣٩ هـ

الموافق ١٢ حزيران ٢٠١٨ م

فريضة العلم

فريضة العلم

مثل العالم العامل

١. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ». رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

معاني الغريب

مَثَلُ: هو تقريب الأمر بصورة معينة.

أَجَادِبُ: جمع جَدَب، وهي الأرض الصُّلْبَةُ التي تجمع الماء كالْغُدْرَانِ.
قِيعَانُ: جمعُ قَاعٍ، وهو الأرض الصلبة المستوية التي لا تنبت ولا تجمع الماء.

المعنى الإجمالي للحديث

مثل العلماء الربانيين العاملين

في هذا الحديث يضرب النبي ﷺ مثلاً للناس في تلقيهم للهدى والعلم، كمثّل الأرض في حال نزول الغيث عليها. وذلك على ثلاثة أنواع: أما النوع الأول من الأرض فهي أرض خصيبة طيبة استقبلت الماء الكثير وانتفعت به كله، وأفادت منه الناس والحيوان، وكذا طائفة من الناس وفقها الله تعالى لاستقبال الهدى والعلم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فأصلح الله به قلوبهم وأحوالهم، فكانوا علماء حكماء فقهاء ربانيين، هداة ودعاة إلى الخير، مصلحين، يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر، يعملون بالقرآن ويعلمونه، ويجتهدون في نشر هذا الدين والعمل به حيثما حلوا أو ارتحلوا، وهؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] وهم المصلحون الذين عناهم الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

وفي هذا الزمان كان من هذه الفئة أبناء الدعوة الإسلامية ورجالها الذين أخذوا على عاتقهم نشر الإسلام، والعمل لأجله في مشارق الأرض ومغاربها، يحيون الإسلام في حياة الناس بعد غربة طالت جميع جوانب الحياة. طال زمانها واتسع خرقها. فأصلح الله بهم البلاد والعباد، وأقاموا على كل سبيل من يدعو إلى الله، لا يبتغون الأجر والثواب إلا من الله.

مثل العلماء الحفاظ

وأما النوع الثاني من الأرض التي ضربها النبي ﷺ مثلاً: فهي تلك الأرض الصلبة، ذات الغدران التي ينزل الغيث عليها، فيتجمع الماء في غدرانها وبركها، وتحفظ به، فهي لا تنبت الزرع وإنما يُسقى بها الزرع. وينتفع الناس بها فيشربون ويسقون ويزرعون. وهي مثل الناس الذين يجمعون النصوص ويحفظونها، فيؤدونها كما وصلتهم، فينتفع الناس بما جمع هؤلاء وحفظوا. كما قال النبي ﷺ فيهم: «رب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(١)، فهم لم يكن لهم عمل إلا الحفظ ومجرد تأدية ما حفظوا. فدورهم في الحياة ونفعهم أقل من أولئك العلماء والفقهاء والدعاة، وإن كان يرجى منهم أن يرتقوا إلى مصاف العلماء والفقهاء والدعاة، بطلب العلم والفقه والحرص على فهم النصوص وسبر أبعادها، والعمل على نشرها وتعليمها للناس وتحويلها إلى برامج عملية في واقع الحياة.

مثل المعرضين عن الهدى والعلم

وأما النوع الثالث فهي الأرض الصخرية الملساء التي لا تمسك الغيث، ولا تجمعها، ولا تنبت الزرع، فيذهب الماء هدراً من غير نفع، فهي مثل الناس الذين لم يقبلوا هدى الله الذي أنزله على نبيه ﷺ، ولا العلم الذي جاء به، وظلوا في جهالتهم يعمهون، وفي ضلالاتهم يغطون، وقد يكونون من حملة

(١) رواه أبو داود برقم ٣٦٦٠، وإسناده صحيح.

الشهادات العالية، كما قال الله تعالى فيهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- في هذا الحديث تصنيف لأنواع الناس من حيث تلقيهم للهدى والعلم النبوي ونفعهم لغيرهم.
- ٢- فيه دعوة للناس أن يحرصوا على طلب العلم، والفقه في الدين.
- ٣- فيه دعوة إلى العمل بالعلم ونشره وتعليمه.
- ٤- الدعوة إلى الله أبلغ مظهر من مظاهر الفقه في الدين والانتفاع به.
- ٥- هذا الحديث يوجه الدعاة إلى مزيد من التفقه في الدين، وأن يترقى الداعية في درجات العلم والعمل والدعوة والحركة بهذا الدين.

الإخلاص في طلب العلم وتعليمه

٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ». رواه مسلم (١٩٠٥).

معاني الغريب

يقضى عليه: أي: يحاسب ويسأل عن أعماله.

جريء: فاعل من الجرأة، وهي الإقدام في الحرب وغيره.

التعريف بالصحابي راوي الحديث

أبو هريرة الدوسي عبد الرحمن بن صخر، الإمام، الفقيه، المجتهد، الحافظ، أبو هريرة الدوسي، اليماني، سيد الحفاظ الأثبات. اختلف في اسمه على أقوال جملة، أرجحها: عبد الرحمن بن صخر. ويقال: كان في الجاهلية اسمه عبد شمس، أبو الأسود، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وكناه أبا هريرة. والمشهور عنه: أنه كُني بأولاد هرة برية. قال: وجدتها، فأخذتها في كمي، فكنيت بذلك. كان مقدمه وإسلامه في أول سنة سبع، عام خيبر. وصحب النبي ﷺ أربع سنين، وحمل عنه علماً كثيراً، طيباً، مباركاً فيه، لم يُلحق في كثرته. حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين. قال البخاري: روى عنه ثمان مئة أو أكثر. وكان حفظه الخارق من معجزات النبوة، وذلك حين شكى إلى النبي ﷺ نسيان حديثه فقال له: ابسط رداءك فبسطه، فغرف بيديه، ثم قال: «ضُمَّهُ» فضممته، فما نسي شيئاً بعده^(١). وكان يقول: ما أحد من أصحاب رسول الله أكثر حديثاً مني عنه، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب، وكنت لا أكتب^(٢). توفي سنة سبع وخمسين للهجرة^(٣).

(١) أخرجه البخاري ١١٩.

(٢) أخرجه البخاري ١١٣.

(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» ٥٧٨/٢.

المعنى الإجمالي للحديث

لا تقبل الأعمال إلا بالإخلاص

يبين النبي ﷺ في هذا الحديث مصائر ثلاثة أصناف من الناس، وأنهم أول من يحاسب ويسأل يوم القيامة، ولما كانت أعمالهم رياء وسمعة ولم يبتغوا بها وجه الله كان مصيرهم إلى النار.

مصير المقاتلين رياءً

أما الصنف الأول: فهم الذين قاتلوا مع المسلمين أعداء الله، وأبلاوا بلاء حسنا في ذلك، حتى قتلوا، وكان ظاهر أمرهم أنهم شهداء في سبيل الله، واحتفل الناس بهم على ذلك، ووجدوا من التكريم والتبجيل والذكر الحسن ما خلدتهم في ذاكرة الشعوب، ولكن أمرهم يعلمه الله تعالى الخبير العليم على حقيقته.

وقد بين النبي ﷺ هذه الحقيقة عندما ذكر لنا هذا الحوار الدائر بين رب العزة سبحانه، وهذا الشهيد المجاهد فيما كان يبدو للناس. فقد بدأ هذا السؤال عن نعم الله الكثيرة عليه، حتى اعترف بها وأقرها، وذلك من باب وزن عمله الذي هو شهادة مع النعم، إذ أن النعم متفوقة على هذه الشهادة لكثرتها ووجوه الإفضال بها، هذا إذا كانت الشهادة خالصة لله تعالى، ولكن المفاجأة أن يقال له: قاتلت ليُقَالَ شجاع، وقد قيل. فيتبين على رؤوس الأشهاد أنه كان كاذباً في مدّعه، فيؤمر به إلى النار. وهذا إن دل فإنما يدل على أن الرياء كبيرة من الكبائر يستحق صاحبه النار.

مصير العلماء المرائين

أما الصنف الثاني: فهم العلماء المعلمون القراء، وكان الحوار بين رب العزة وهذا الصنف من الناس أن عدد نعمه عليهم وفصل فيها وبين لهم أن وزن علمهم وتعليمهم مع هذه النعم لا يصل إلى فضل الله، وهذا إذا كان علمهم وتعليمهم خالصاً، فكيف إذا كانوا لا يبتغون وجه الله فيهما، بل قد تحول من باب الفضائل والقربات إلى باب العاصي والآثم، فيقال لهم: ما ذاد فعلتم بطلب العلم وتعليمه وقراءة القرآن وإقرائه فيقولون فعلنا ذلك من أجلك وابتغاء مرضاتك.

مصير المنفقين رياءً

أما الصنف الثالث: فهم الذين يتصدقون وينفقون المال بسخاء في وجوه البر والإحسان، حتى جعل الناس لهم ذكراً حسناً، وسُجِّلَتْ أَسْمَاؤُهُمْ في مشاريع الخير، وتداول الناس أَسْمَاءَهُمْ، وخُلدت هذه الأسماء في تاريخ الجود والكرم والبذل والعطاء، وهؤلاء جاء الله بهم يوم القيامة، وحاورهم فيما فعلوا، وبدأ بذكر النعم الجزيلة التي أنعم بها عليهم، وقرّرهم بهذه النعم التي اعترفوا بها، وهذه النعم هي أعظم في الجزاء والوزن من نعمة ما أنفقوا وتصدّقوا، هذا كله إذا كان الإنفاق سالماً من آفة الرياء والسمعة وابتغاء وجوه الناس، فكيف إذا كان الإنفاق فيه جميع هذه الآفات، فلما سألهم فيم أنفقتم وتصدقتم؟ قالوا: من أجلك وابتغاء مَرْضَاتِكَ، فقال: كذبتُم، إنما أنفقتم ليقال جواد ومحسن وكريم، إنما ابتغيتم السمعة والشهرة، فيقال: خذوهم إلى النار.

منزلة الأعمال الثلاثة في الحياة

وقد يسأل سائل: ما الذي جعل هذه الأصناف من الناس ولها مثل هذه الأعمال ينتهون إلى هذه النهاية؟ يتبدل الذكر فضيحة، والعمل الظاهر في خيره كبيرة من الكبائر، وهذا باعتبار أن هذه الأمور الثلاثة، والتي هي الجهاد والعلم والإنفاق هي من الأسس التي تقوم عليها الحياة الصالحة، فبالجهاد يحافظ على وجود الأمة ومكانتها، يُمكن لها بين الأمم، وبالعلم تُقيم الحياة على أحكام الشريعة، ونوجه جميع شؤونها وجهةً صالحةً نافعة، ولا يقوم الصنفان السابقان، ولا غيرهما إلا بالإنفاق، فالمال هو عصب الحياة كما قيل.

ولما كانت هذه الأصناف المذكورة في الحديث قد أخلت بالأساس الذي تقوم عليه هذه الأمور، فأفسدت المقاصد والنوايا والأهداف التي يقوم عليها العمل عند كل صنف، كان الجزاء مكافئاً، فبدأ بهم أولاً قبل غيرهم، فقال: أول من يقضى عليهم يوم القيامة، وكانت النار مصيرهم ثانياً.

ونخلص إلى أن النية ركن القبول للأعمال أو ردّها، فإذا كانت لله تعالى خالصة لوجهه الكريم قبلت، وإلا فالنار أولى بها.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- أن ابتغاء وجه الله في الأعمال أساس في قبولها.
- ٢- أن الرياء وطلب السمعة في الأعمال يحبطها.
- ٣- أن الأعمال مهما كانت عظيمة فلا يغتر المسلم بها.
- ٤- يوجه هذا الحديث الدعاة إلى تحقيق الإخلاص في جميع أعمالهم الدعوية، وأن يوجهوا الناس إلى تحقيق الإخلاص في أعمالهم.

العلماء عصمة الناس من الضلال

٣. عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

عبد الله بن عمرو بن العاص. الإمام، الحبر، العابد، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، أبو محمد. من أهل مكة. كان يكتب في الجاهلية، ويحسن السريانية. وقد أسلم قبل أبيه، وله مناقب، وفضائل، ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي ﷺ علماً جماً. وكتب الكثير بإذن النبي ﷺ وترخيصه له في الكتابة. وكان كثير العبادة، حتى قال له النبي ﷺ: «إِنْ لَجَسَدُكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنْ لَزَوْجُكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنْ لَعَيْنُكَ عَلَيْكَ حَقًّا» الحديث^(١). وكان يشهد الحروب والغزوات. ويضرب بسيفين. وحمل راية أبيه يوم اليرموك. وولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة. وعمي في آخر حياته. وتوفي في مصر سنة ٦٥ للهجرة^(٢).

(١) أخرجه البخاري ١٩٥٧، ومسلم ١١٥٩.

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» ٣/ ٧٩، و«الأعلام» للزركلي ٤/ ١١١.

المعنى الإجمالي للحديث

دور العلماء في إرشاد الأمة

في هذا الحديث بيان لدور العلماء في الأمة، فهم هدايتها ومرشدوها إلى الحق، وهم صمام أمانها من الضلال والانحراف، فالعلماء ورثة الأنبياء، ووجود العلماء في الأمة نعمة عظيمة، وتزداد الأمة بكثرتهم خيراً وبركةً وهداية بخلاف أي فن أو مهنة أخرى قد يكون في كثرة أصحابها ما يعرض المهنة إلى الكساد، وقد يقودها إلى الفساد. أما العلماء فإن زيادة عددهم مهما بلغ لا يزيد الأمة إلا رشاداً وسداداً. يوجهونها في جميع جوانب حياتها، فيصلحون مناهجها التعليمية والثقافية والإعلامية، وأنظمتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وهذا ما سجله تاريخ الإسلام عندما كان العلماء يملؤون الحواضر والقرى والأرياف، حتى إنك لتجد في القرية الصغيرة العشرات منهم يفتون الناس ويرشدونهم في أمور دينهم ودنياهم.

قال ابن القيم: «فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خُصّوا باستنباط الأحكام، وعُنوا بضبط قواعد الحلال والحرام؛ فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ

فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» [النساء: ٥٩] قال عبد الله بن عباس في إحدى الروايتين عنه وجابر بن عبد الله والحسن البصري وأبو العالية وعطاء بن أبي رباح والضحاك ومجاهد في إحدى الروايتين عنه: أولو الأمر هم العلماء، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد^(١).

من صفات العلماء الربانيين

ويشترط لمن يتصدر للفتوى وإرشاد الناس والعمل على إصلاح ما فسد من أحوالهم، أن يكون عالماً بالحلال والحرام والأحكام الشرعية، وأن يكون صالحاً في نفسه، صادقاً في قوله، قدوة للناس في جميع أحواله، سره وعلايته سواء. قال ابن القيم: «ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ، والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية، والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق؛ فيكون عالماً بما يبلغ صادقاً فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضي السيرة، عدلاً في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله؛ وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات؟ فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعد له عدته، وأن يتأهب له أهفته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدق به؛ فإن الله ناصرهم وهاديه»^(٢).

(١) انظر «إعلام الموقعين» ٨/١.

(٢) انظر «إعلام الموقعين» ٨/١.

واجب الأمة في تكوين العلماء ورعايتهم

ولا تزال هذه الأمة بخير ما حرصت على تكوين العلماء الربانيين العاملين، والاستكثار منهم، وهذا سبيل قوتها وسلامتها من الضلال والانحراف. فتهيء لهم المناهج العلمية الرصينة القادرة على إعدادهم وتكوينهم حتى يصلوا إلى أعلى المستويات العلمية، وتوفر لهم ما يلزمهم في حياتهم المعيشية، وتمكنهم من أداء دورهم في توجيه الأمة وقيادتها.

تمكين العلماء من أداء رسالتهم

أما أن يُضَيَّقَ عليهم، فيُمنعون من المنابر والصروح العلمية، وتُمنع كتبهم وتصادر، ويُضَيَّقَ عليهم في حركتهم واتصالهم بالناس، وأحوالهم المعيشية، ويُعتقلون في كثير من الأحيان من أجل كلمة أو موقف في وجه الباطل والفساد، في الوقت الذي تفتح فيه الأبواب أمام أدعياء العلم والمعرفة والفتوى. فيُفتنون الناس بغير علم فيضلون ويُضلون.

وما ورد في هذا الحديث من صورة قبض العلم بقبض العلماء، فإنه وإن كانت صورته لم تَسْتَحْكَمْ بَعْدُ إلى الآن، إلا أن ما أوردناه من صور التضييق على العلماء واستبدال الجهال بهم، يشملته تحذير النبي ﷺ في هذا الحديث من أن تصل الأمة إلى هذه الحالة.

أهم ما يرشد إليه الحديث

١- تحذير الأمة من نقص علماء الدين فيها.

- ٢- تحذير الأمة من تولية الجهاد أمور الإرشاد والإفتاء.
- ٣- أساس الإصلاح في الأمة العلماء الربانيون.
- ٤- دعوة الأمة إلى الحرص على تكوين العلماء،
- ٥- تمكين العلماء من أداء دورهم.
- ٦- يوجه هذا الحديث الدعاة والمصلحين إلى إبراز دور العلماء في التوجيه والإرشاد والإصلاح. والعناية بالعلماء، والدفاع عنهم.

**فريضة الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر**

فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

التعريف بالإسلام

٤. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء». رواه مسلم (١٤٥).

معنى الغريب

طوبى: اسم الجنة. وقيل: هي شجرة فيها.

المعنى الإجمالي للحديث

غربة الإسلام في أول الأمر

يتكلم هذا الحديث عن بداية أمر الدين عندما نزل على رسول الله ﷺ، فوجد في قومه صدوداً وإعراضاً، فكان قوله غريباً عندهم، والدين الذي جاء به غريب كذلك، كان غريباً عندهم في عقائده، غريباً عندهم في أخلاقه، غريباً عندهم في شرائعه، غريباً عندهم في الكتاب الذي أنزل عليه، وفي الوحي الذي يأتيه، فكان الدين غريباً عندهم بالجملة، وكان المؤمنون به غرباء عند أقوامهم.

وقد صور القرآن غربة الدين عندهم فقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي فِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٧]. وقال: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٤ - ٥].

وكانت هذه الغربة مصحوبة بألوان الابتلاءات من القتل، والتعذيب، والمقاطعة، والتشريد، والمكر، قال الله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

أتباع الدين النزاع من القبائل

وفي بداية الأمر آمن أفراد من قبائل شتى، ولم يحدث أن آمنت قبيلة بكاملها، أو حي بكامله وإنما كانوا آحاداً من قبائل شتى. وهو ما عناه النبي ﷺ حينما سُئل عن صفة الغرباء - فيما رواه الإمام أحمد ٣٧٨٤ - فقال: «النزاع من القبائل». والنزاع هم الذين انتزعوا أنفسهم من قبائلهم ومُجتمعاتهم، والتحقوا بهذا الدين.

زوال الغربة

ومع انتشار الإسلام وهجرة المسلمين إلى المدينة، ورسوخ أمر هذا الدين، بدأت هذه الغربة بالزوال، وحل مكانها معرفة الناس لهذا الدين والإقبال عليه، حتى رأينا أن كثيراً من القبائل آمنت ودخلت في هذا الدين بجُمليتها، كقبائل الأوس والخزرج، وبنو عبد القيس، وقبيلة دوس، وغفار، وكثير غيرهم.

ثم توالى الناس بالدخول في هذا الدين أفواجا، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا *﴾.

عودة الغربية

وفي هذا الحديث إخبار من النبي ﷺ بأن الإسلام سيعود غريباً كما بدأ، وليس المقصود بعودة هذه الغربية أن يزول الإسلام نهائياً عن هذه الأرض وأن يعود مستنكراً ومستغرباً عند الناس، وإنما هي غربة مؤقتة محدودة تصيب أهل هذا الدين في أقوامهم، فتصبح عقائد هذا الدين وشرائعه غريبة على الناس، ويكثر أعداؤه ويقل أنصاره.

ولا تزول غربة الإسلام إلا بالعمل الجاد والجهاد والتضحية والدعوة إلى الله والثبات والتنظيم والحركة، كل ذلك في سبيل الإصلاح، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور. والعمل على استئناف الحياة الإسلامية، وإيصال الفكرة الإسلامية إلى كافة الناس في كافة أقطار الأرض.

غربة الإسلام في هذا العصر وزوالها

وقد شهدنا في هذا العصر في بدايات القرن الماضي غربة للإسلام وأهله، في كافة مجالات الحياة في الشعائر والشرائع والأخلاق والعادات والتقاليد، بل وغربة في هوية المجتمع، حتى نهض ثلة من الدعاة المصلحين فأخذوا على عاتقهم تجديد أمر هذا الدين في قلوب الناس وعقولهم، وسائر أحوالهم. فبدأت هذه الغربية تزول ورجع الناس إلى دينهم يتمثلون عقائده

وشرائعه وأخلاقه، إلا أن الحكم بما أنزل الله ما زال في كثير من جوانبه في غربه عن هذه الأمة، وما زال الدعاة والمصلحون ينادون بالإصلاح السياسي والتشريعي في كافة الأقطار الإسلامية.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- في هذا الحديث بيان لأطوار الإسلام في الأرض بين الغربه والمعرفة.
- ٢- الغربه مؤقتة ومرحلة يعقبها معرفة وإقبال على هذا الدين.
- ٣- نزول الغربه بالعمل الجاد والدعوة والإصلاح.
- ٤- يوجه هذا الحديث الدعاة والعلماء إلى أخذ دورهم في القيام بالإصلاح والتعريف بهذا الدين ونشره بين الناس لإزالة غربته.

النهوض بالأمة

٥. عن ثوبان رضي الله عنه، مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها». قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غناء غناء السيل، تنتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن». قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: «حُبُّ الحياة وكراهية الموت». رواه الإمام أحمد ٣٧/ (٢٢٣٩٧).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

ثوبان بن جُدد، ويقال: ابن جَحْدَر القرشي الهاشمي، أبو عبد الله، مولى رسول الله ﷺ، من أهل السَّراة. والسَّراة: موضع بين مكة واليمن. لزم النبي ﷺ وصحبه، وحفظ عنه كثيراً من العلم، ولم يزل معه في الحضر والسفر حتى توفي النبي ﷺ، فخرج إلى الشام، فنزل الرملة، ثم انتقل إلى حمص، ولم يزل بها إلى أن مات. وطال عمره، واشتهر ذكره، وكانت وفاته سنة أربع وخمسين للهجرة^(١).

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٣/ ١٦. و«تهذيب الكمال» ٤/ ٤١٣.

معاني الغريب

تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ: أَي: دَعَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِيَجْتَمِعُوا عَلَيْكُمْ.
أَكَلَةٌ: جَمْعُ آكَلَ.

المعنى الإجمالي للحديث

تحذير الأمة من مطامع الأمم فيها

هذا الحديث من أعلام النبوة، فيه نذارة بليغة لهذه الأمة، أنه سيأتي عليها زمان تكون فيها كثيرة الخيرات والكنوز، فهي كالقصعة المليئة بالطعام، ولكن هذه الكنوز وهذا الطعام حرام على أهله، حلال للغرباء والأعداء، يدعو بعضهم بعضاً إليه، ويحيطون به من كل جانب، ويكون هذا التداعي من الأمم، وليس من أفراد يأتون مهاجرين أو وافدين، كما أنهم يأتون من كل أفق، كناية عن تباعد بلادهم.

سبب مطامع الأمم في هذه الأمة

أما قول الصحابة: أَمِنْ قَلَّةِ بَنِي يَوْمِئِذٍ؟ لما فهموا أن هذا عدوان على الأمة، ولا يكون ذلك إذا كانت كثيرة العدد مرهوبة الجانب، فأخبرهم النبي ﷺ أنهم كثيرون في العدد، لكن لا وزن لهم بين الأمم، ولا مهابة لهم في قلوبها، وأنهم غثاء، والغثاء الفتات والقش والرغوة التي يحملها السيل، حجمها كبير ووزنها خفيف، أما سبب خفة الوزن ونزع المهابة من قلوب الأعداء فهو الوهن، وقد بين النبي ﷺ معنى الوهن، وهو حب الدنيا وكراهية الموت.

أطماع الأمم بها في هذا العصر

منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي دخل الاستعمار الغربي الى بلاد المسلمين، وخضعت بلاد المسلمين في آسيا وأفريقيا إلى إدارة مباشرة من الدول المستعمرة، حتى الهند ذات مئات الملايين من البشر كانت تحكمها شركة إنكليزية، وفي هذه الفترة بدأت تتفجر آبار البترول والغاز والمعادن إلى جانب الثروات الهائلة من جميع الأصناف والأنواع، ولكن هذه الثروات الباطنة والظاهرة كانت غنيمة باردة للدول المستعمرة، وكانت بلاد المسلمين وشعوبهم كالجثة الهامدة، والمستعمر يفعل فيها ما يشاء نهباً وتقطيعاً وبيعاً وشراء. وهيمن على العالم الإسلامي الجوع والجهل والمَرَض وعجز الإرادة، ومثله كما قال الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

النهوض الأمة

وبعد التأمر على الخلافة الإسلامية وإسقاطها، في مطلع القرن العشرين، قامت الجماعات الإسلامية في شرق البلاد وغربها بالدعوة إلى رص الصفوف، ونفض الوهن عن كواهل الأمة بالعلم والمعرفة والعمل الجاد والجهاد في سبيل الله، من أجل استئناف الحياة الإسلامية، واستعادة دور الأمة الإسلامية بين الأمم.

واليوم - وبعد مئة عام من الدعوة والعمل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - يشاء الله تعالى أن تكون الإفاقة من هذا الوهن، وأن تبدأ الأمة

بالتعافي مع ظهور هذه الصحة الإسلامية، وعودة الوعي، وبقظة الروح
الجهادية، وطلب الشهادة، وكانت نكبة فلسطين من أهم العوامل في ذلك،
حيث اصطفت على منصتها قوافل الاستشهاديين في ظاهرة أعادت إلى
الأذهان صورة الأمة في أزهى عصور جهادها. حتى صار الموت في سبيل الله
عند هؤلاء أسمى الأمان.

ما يرشد إليه الحديث

- ١- يحذر الحديث هذه الأمة أن تكون نهياً للأمم من حولها.
- ٢- سبب الوهن والضعف الذي يصيب الأمة هو الإعراض عن الآخرة
وحب الدنيا وكرهية الموت
- ٣- الحفاظ على هيبة الأمة وكيانها وثرواتها يكون بالقوة والجهاد وحسب
الشهادة.
- ٤- العبرة بالإيمان القوي، وطلب الآخرة. وليس بكثرة أعداد
المسلمين.
- ٥- على الدعاة والعلماء ان يوقظوا في الأمة أنفة الإيمان وعزة المؤمنين
والمحافظة على حقوق الأمة، والحرص على ثرواتها.

نجاة الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٦. عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا». رواه البخاري (٢٤٩٣).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، أبو عبد الله. الأمير، العالم، الخطيب. صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه. وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة سنة اثنتين للهجرة؛ وسمع من النبي ﷺ، وعُد من الصحابة الصبيان باتفاق. نزل الشام. وولي القضاء بدمشق بعد فضالة بن عبيد سنة ٥٣ هـ، وولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة، تسعة أشهر، وعزله وولاه حمص. واستمر فيها إلى أن مات، سنة ٦٥ للهجرة. وكان من أخطب العرب. وله شعر مطبوع في ديوان، وهو الذي تنسب إليه «معرفة النعمان»^(١).

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٣/ ٤١١، و«الأعلام» للزركلي ٨/ ٣٦.

معاني الغريب

استهموا: اقترعوا.

المعنى الإجمالي للحديث

المقصود بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحكمهما

والمعروف هو كل ما أمر به شرعاً، والمنكر كل ما نُهي عنه شرعاً. سواء كان ذلك بصريح القرآن والسنة، أو ما يستفاد من كليات الشريعة ومقاصدها العامة.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الدين المحكمة، التي ميز الله بها هذه الأمة على غيرها من الأمم، فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

مثل المصلحين والمفسدين في المجتمع

في هذا الحديث ضرب النبي ﷺ مثلاً للمجتمع المسلم بالسفينة التي تمخر البحر، والأصل في هذه السفينة أن تصل بركابها إلى شاطئ السلامة، وتؤمنهم من الغرق، وقد قسم النبي ﷺ في هذا المثل ركاب السفينة إلى قسمين: الأول: قسم حريص على هذه السفينة وسلامتها، وهو قائم عليها بالحفظ والرعاية، يمنع العابثين بها. والقسم الثاني يسعى وراء مصلحة الخاصة، أو مصلحة عامة متوهمة، ولا يراعي ما يتهدد السفينة من أخطار،

بل هو يسعى بنفسه إلى إحداث ضرر في هذه السفينة يؤدي بها وبركابها جميعاً إلى الهلاك.

وكان لكل منهما نصيب في هذه السفينة ودور، أما الساعون وراء مصلحة خاصة، أو عامة متوهمة، فقد عزموا على خرق نصيبهم في السفينة للحصول على الماء من أسفلها، كي لا يؤذوا من فوقهم إذا مروا عليهم، وهي حجة ظاهرها المصلحة العامة، وأن لهم حقاً في هذا الجزء. دون النظر إلى الضرر العام الذي يحدثه هذا الخرق.

وأما القسم الآخر وهم الذين يسعون وراء المصلحة العامة الحقيقية، ويحرصون على سلامة السفينة حتى تصل إلى الشاطئ، وينجو جميع أهلها، فقد بادروا إلى إيقاف هؤلاء عن خرق السفينة، وإهلاك أهلها، فأخذوا على أيديهم، ومنعواهم من هذا الفعل المنكر، فكان في ذلك نجاة الجميع وسلامة السفينة.

فرض مدافعة الباطل

وهكذا الناس في المجتمع المسلم، فهم قسمان: أما القسم الأول فهم العلماء والدعاة والمصلحون والأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله، منطلقاتهم من ثوابت الدين والشريعة ومكارم الأخلاق، وهؤلاء هم حراس المجتمع القائمون على خير، ودفع الأذى والشر عنه.

والقسم الثاني هم أهل المنكر والبغي والعدوان، الذين لا يكفون شرهم عن المجتمع، فيسعون في الأرض فساداً، مرجعيتهم الأهواء والمصالح

الشخصية والأنظمة الفاسدة، بما لا يمت إلى عقيدة الأمة وشريعتها بصلة، فيقطعونها عن أصل قوتها ومجدها، وإن كانوا أحياناً يغلفون إفسادهم هذا بذرائع واهية، أو مصالح متوهمة، ظاهرها المصلحة العامة وباطنها الهلاك والدمار للمجتمع.

وبالمدافعة بين أهل الحق وأهل الباطل، وبين أهل المعروف وبين أهل المنكر، تتحقق مصلحة المجتمع بالسلامة من آثار المنكرات الهدامة. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥٢].

وتلك هي معركة الإصلاح الحقيقية على مدار التاريخ البشري، وفي زماننا هذا قام أعداء الإسلام بإحداث أكبر خرق في تاريخ المجتمع الإسلامي، فنشروا الفساد والظلم والاستبداد وأهلكوا الحرث والنسل، وجعلوا من أبناء المسلمين أعواناً على ذلك، فقامت دعوة الإسلام تقيم على حدود الله من يراها، وتنشئ للمجتمع قوامين بالقسط من العلماء والدعاة الربانيين الذين أخذوا على عاتقهم إصلاح ما أفسد هؤلاء، ولقد بدأت آثار هذا الإصلاح بارزة للعيان، حتى صار الأعداء يستهدفون هؤلاء المصلحين بأنواع شتى من الابتلاءات، من الاعتقال والتشريد والقتل والتضييق في الرزق والتهم والافتراءات والحملات الظالمة، كل ذلك للقضاء على دورهم في الإصلاح.

أهم ما يرشد إليه الحديث

١- الإصلاح منجاة للمجتمع من الهلاك.

- ٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية التي لا يستقر المجتمع إلا بأدائها على الوجه الأكمل.
- ٣- قد يُغَلَّف الفساد بذرائع واهية ومصالح متوهمة فلا يغتر بها المصلحون.
- ٤- على العلماء والدعاة والمصلحين القيام بواجبهم تجاه المجتمع في الإصلاح ومحاربة الفساد.

فرض الدعوة إلى الله وعقوبة القعود عنها

٧. عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس، إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنا سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمَّهم الله بعقاب». وفي رواية قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرُونَ على أن يُغيَّروا، ثم لا يُغيَّروا إلا يوشِكُ أن يعمَّهُمُ الله منه بعقاب». رواه أبو داود (٤٣٣٨). وإسناده صحيح.

التعريف بالصحابي راوي الحديث

عبد الله بن أبي قُحَافَةَ عثمان بن عامر التيمي القرشي، أبو بكر: أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال، وأحد أعظم العرب. ولد بمكة، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريهم، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش. وحرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها. ثم كانت له في عصر النبوة مواقفٌ كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل

الأموال. وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ سنة ١١ هـ فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة.

وافتححت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق. وكان موصوفاً بالحلم والرافة بالعامّة، خطيباً لسنّاً، وشجاعاً بطلاً. مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، وتوفي في المدينة^(١).

المعنى الإجمالي للحديث

فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في هذا الحديث يزيل أبو بكر رضي الله عنه ما التبس في بعض الأذهان حول قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتوقفان في حال كثرة الفساد وعموم المنكر بين الناس، وأن على المسلم أن يتوجه إلى خاصة نفسه، وليس هو مسؤولاً عن إصلاح غيره. لكن أبا بكر أجاب عن هذا اللبس بما ورد عن النبي ﷺ في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحذير من التقصير في ذلك والترهيب من تركه، وخاصة عند القدرة عليه.

قال عبد الله بن المبارك^(٢): هذه أوكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه قال: «عليكم أنفسكم» يعني عليكم أهل دينكم، ولا يضركم من ضل من الكفار، وهذا كقوله: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة:

(١) انظر «الأعلام» للزركلي ١٠٢/٤.

(٢) انظر «تفسير الرازي» ٤٤٩/١٢.

[٥٤] يعني أهل دينكم^(١)، فقله: «عليكم أنفسكم» يعني بأن يعظ بعضكم بعضاً ويرغب بعضكم بعضاً في الخيرات، ويُنفّر عن القبائح والسيئات.

وعليه فإن من أوجب الواجبات التي تلحق بالمسلمين في هذا الزمان هو القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، مهما تكالب عليها أعداء الأمة، ويضطلع بهذا الواجب على وجه الخصوص علماء الأمة ودعاتها والقائمون على التوجيه والإصلاح فيها.

معاني أخرى للآية

هذا وفي الآية معان أخرى لا تقل أهمية عما أورده أبو بكر رضي الله عنه من حديث النبي ﷺ^(٢):

منها: أي: احفظوا أنفسكم من ملابسة المعاصي، والإصرار على الذنوب. ويتضمن هذا المعنى أن يحصن المسلم نفسه وأهله ومن يلي أمرهم من المنكرات التي عمت البلاد والعباد.

ومنها: لا يضرركم ملامة اللائمين إذا كنتم على الهدى. وما أكثر المثبطين واللائمين الذين يطالبون الدعاة بالعودة عن دعوتهم، والخضوع لأهل المنكر والباطل من حولهم.

(١) المقصود أن هذه الآية جاءت خطاباً للذين عبدوا العجل من بني إسرائيل، فكانت توبتهم بأن يقتل بعضهم بعضاً.

(٢) انظر «تفسير الرازي» ١٢/ ٤٥٠.

ومنها: أن المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء الكفار في كفرهم وضلالتهم. فقليل لهم: ﴿عليكم أنفسكم﴾، وما كلفتهم من إصلاحها والمشي بها في طريق الهدى، لا يضرهم ضلال الضالين، ولا جهل الجاهلين. ومنها: أنهم كانوا يغمون لعشائهم لما ماتوا على الكفر، فنهوا عن ذلك.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله^(١): «إن هذه الآية الواحدة تقرر مبادئ أساسية في طبيعة الأمة المسلمة، وفي طبيعة علاقاتها بالأمم الأخرى». ثم قال: «على الأمة المسلمة أن تتضامن فيما بينها وأن تتناصح وتتواصى، وأن تهتدي بهدي الله الذي جعل منها أمة مستقلة عن الأمم غيرها.. ثم لا يضيرها بعد ذلك شيئاً أن يضل الناس حولها ما دامت هي قائمة على الهدى. ولكن ليس معنى هذا أن تتخلى الأمة المسلمة عن تكاليفها في دعوة الناس كلهم إلى الهدى».

عقوبة التقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وقد روى أبو بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يفيد عقوبة الأمة إذا قصر دعائها وعلمائها في تغيير المنكر مع القدرة عليه، ومنها تسليط أهل المنكر على البلاد والعباد، حتى تكون نهباً لأعدائها.

فلا بد من الاضطلاع بمهمة التوجيه والإرشاد، وبيان الحق من الباطل في كل ما تحتاجه الأمة في جميع جوانب حياتها. وخاصة فيما يتعلق بالأمور

(١) «الظلال» ٢ / ٩٩٢.

العظام في التعليم والثقافة والإعلام والاقتصاد والاجتماع والسياسة الداخلية والخارجية، فتكون مجالس الفتوى من العلماء الربانيين المخلصين هم مرجعية الأمة في شؤونها المختلفة، بل يبادر أصحاب الفتوى بإصدار البيانات المبينة لموقف الإسلام ورأيه في قضايا الأمة المهمة، فإن لكلمتهم هذه وزنها عند الناس كافة، فمنهم من يستجيب لهم، ومنهم من يعرض عنهم، فلا يضرهم حينذاك إعراض المعرضين طالما أنهم قاموا بواجبهم الشرعي في البيان والتوجيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- وجوب تصحيح المفاهيم بما يتفق مع مبادئ الشريعة وأصولها.
- ٢- لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى مع العجز عنه.
- ٣- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة عليه يعرض الأمة للعقوبة.
- ٤- على العلماء والدعاة والمصلحين أن يحصنوا أنفسهم وأهلهم ومن يلون أمرهم من المنكرات والفساد. كما أن عليهم أن يقوموا بواجبهم تجاه الأمة وولاة أمرها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٨. عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكنني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله، ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله ﷺ. رواه مسلم (٥٣٧).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

معاوية بن الحكم السلمي، له صحبة. كان ينزل المدينة، ويسكن في بني سليم. له عن النبي ﷺ هذا الحديث الواحد.

معاني الغريب

الثكل: هو فقد الولد.

ما كهرني: أي: ما نهمني.

الجاهلية: كثرة الجهل، وقلة العلم بالشرائع السماوية.

المعنى الإجمالي للحديث

رفق النبي ﷺ ورأفته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في هذا الحديث بيان لطريقة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، وكيف كان يوجه أصحابه، ويصحح مفاهيمهم ويقوم أخطاءهم، ويحسن تربيتهم، ولا عجب في ذلك، فإن الله تعالى قد امتدحه في خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. وقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فقد كان الرجل يأتيه من البادية لا يعلم شيئاً، ولا يحسن تصرفاً، فيرشده النبي ﷺ بأحسن ما يكون التعليم والإرشاد، فيغادره وقد فقه ورشد. وهذا معاوية بن الحكم السلمي يقص علينا ما حدث معه في إحدى صلواته خلف النبي ﷺ، إذ عطس أحدهم في الصلاة فشتمته معاوية، لكن الصحابة رضوان الله عليهم، أنكروا عليه ذلك أثناء الصلاة، فرموه بأبصارهم منكبين عليه، فقال لهم: وأئكل أميأه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فزادوا في الإنكار عليه بأن ضربوا على أفخاذهم كي يصمت. فصمت.

فلما انتهت الصلاة التفت إليه النبي ﷺ التفاتة المعلم الرحيم، فأرشده وعلمه برفق ولين من غير تعنيف ولا توبيخ، وقد وصفه معاوية بقوله: ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله، ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني. وما زاد على أن قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن».

الكلام في الصلاة يبطلها

فمما علمه إياه النبي ﷺ أن هذه الصلاة لا يجوز فيه كلام الناس، بل يبطلها، ولا يجوز إلا ما شرع فيها من التسبيح والتحميد والقراءة، ونحو ذلك. قال النووي^(١): فيه تحريم الكلام في الصلاة، سواء كان لحاجة أو غيرها، وسواء كان لمصلحة الصلاة أو غيرها، فإن احتاج إلى تنبيه أو إذن لداخل ونحوه سبح إن كان رجلا، وصفقت إن كانت امرأة، هذا مذهب الجمهور من السلف والخلف.

من أدب التحديث عن رسول الله ﷺ

وفي قوله في آخر الحديث: «أو كما قال رسول الله ﷺ» أدب التحديث عن رسول الله ﷺ، والأمانة وتحري الدقة في النقل.

وقد كان كثير من الصحابة والتابعين إذا رووا الحديث عن رسول الله ﷺ يقولون هذه العبارة في آخره. وهذا وإن كان يعني الاحتياط في الرواية، فإنه لا ينفي دقتهم وضبطهم في النقل، وهناك من الشواهد لهذا ما ليس هذا موضعه.

أهم ما يرشد إليه الحديث

١- فيه أن تسميت العاطس سنة مؤكدة، بل هي كما جاء في أحاديث أخرى من حق المسلم على المسلم.

(١) انظر «شرح النووي على مسلم» ٥/ ٢١. بتصرف.

- ٢- فيه جواز إنكار المنكر وهو في الصلاة بالطريقة المشروعة من التسييح للرجال والتصفيق للنساء.
- ٣- فيه تحريم الكلام في الصلاة.
- ٤- فيه ما كان عليه النبي ﷺ من الرفق واللين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٥- وفيه توجيه الدعاة والعلماء والمصلحين إلى الاقتداء بالنبي ﷺ بالرفق بالمتعلم وحسن تعليمه من غير تعنيف ولا توبيخ.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأماكن العامة

٩. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إياكم والجلوس على الطُّرُقَاتِ» فقالوا: ما لنا بُدٌّ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: «فإذا أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها» قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «غَضُّ البَصَرِ، وكَفُّ الأَذَى، وردُّ السَّلامِ، وأمرٌ بالمعروفِ، ونهيٌ عن المنكرِ». رواه البخاري (٢٤٦٥)، ومسلم (٢١٢١).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

هو أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان الإمام، المجاهد، مفتي المدينة، شهد أبو سعيد الخندق، وبيعة الرضوان. وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر. وكان أحد الفقهاء المجتهدين. رده النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد لصغر سنه. فقد كان عمره ثلاث عشرة سنة. توفي في المدينة سنة أربع وسبعين للهجرة^(١).

المعنى الإجمالي للحديث

حق الطريق

جمع هذا الحديث عدداً من الوصايا والآداب المتعلقة بحق الطريق، ويدخل في الطريق الأماكن العامة كالأسواق، والمتنزهات، والمطاعم،

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٣/ ١٦٨. و«الأعلام» للزركلي ٣/ ٨٧.

والفنادق، والمؤسسات العامة، ووسائل النقل العامة كالقطارات والباصات والطائرات وغيرها.

فقد نبه النبي ﷺ إلى جملة من المأمورات والمنهيات في هذه الأماكن، منها: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

أولاً: غضر البصر

أما غض البصر، فيعني خفضه وعدم إرساله هنا وهناك، من تتبع النساء وعورات البيوت وغيرها، فيما قد يوقع صاحبه في الحرام، من الاعتداء على الأعراض، وإثارة الفتن بين الناس، وكشف الأستار والأسرار، وانتهاك خصوصيات الناس، وقد أمر القرآن الكريم بغض البصر للرجال والنساء على السواء، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

وقد قال النبي ﷺ لعلي: «لا تُتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة»^(١).

ثانياً: كف الأذى

أما كف الأذى فيشمل كل ما فيه ضرر، أو إيذاء بالقول أو الفعل، كإلقاء النفايات في هذه الأماكن، أو تضيق الطريق على الناس بإغلاق الأرصفة بالمعروضات التجارية، أو اصطفاف السيارات في أبواب المحال، أو المواقف الخاصة. أو إيذاء الناس في أسماعهم كإطلاق أبواق السيارات فيما لا داعي له، وغير ذلك مما يؤذي الناس في أسماعهم وأبصارهم وهيئاتهم.

ثالثاً: رد السلام

ومن آداب الأماكن العامة التي وردت في هذا الحديث رد السلام، وهو من الحقوق التي رتبها الإسلام على المؤمنين بعضهم على بعض، فقد قال النبي ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ»، وذكر الأولى منها «رَدُّ السَّلَامِ»^(٢). وجعله من أسباب التعارف والتعاون والتحاب والتواد بين أفراد المجتمع الواحد، فقال: «أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٣).

(١) رواه أبو داود ٢١٤٩، والترمذي ٢٧٧٧. وإسناده حسن.

(٢) رواه البخاري ١٢٤٠.

(٣) رواه مسلم ٥٤.

رابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أما الأدب الرابع في هذا الحديث فهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بحسب الحاجة والاستطاعة الواردة في الحديث الآخر: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(١). وكم من المنكرات التي نراها ونسمعها في الطرقات، وفي الأماكن العامة، كالأصوات الصادرة من بعض المحال التجارية، أو اصطفاك بعض السيارات فيما لا يسمح الوقوف فيه، أو الكاسيات العاريات، أو الغش والخداع من بعض البائعين، أو المشاجرات بين الناس، وغيرها الكثير من منكرات الأقوال والأفعال التي تحتاج إلى أمر بمعروف أو نهي عن منكر.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- يؤسس هذا الحديث لمبادئ السلامة العامة والمحافظة على البيئة في المجتمع.
- ٢- فيه جملة من الآداب الشرعية التي أمرنا بها النبي ﷺ لمراعاتها في الأماكن العامة.
- ٣- أول هذه الآداب غض البصر محافظة على الأعراض.
- ٤- وثاني هذه الآداب كف الأذى عن الناس بشتى صوره وأشكاله من الأقوال والأفعال.

(١) رواه مسلم ٤٩.

- ٥- وثالث هذه الآداب رد السلام، لما فيه من تحاب وتواد بين أفراد المجتمع.
- ٦- وعلى رأس هذه الآداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حدود الاستطاعة والوسائل الممكنة.
- ٧- في هذا الحديث توجيه للدعاة إلى الاهتمام بهذه الآداب والمنهيات والمأمورات في دروسهم وتوجيهاتهم، وتنبيه الناس إلى خطورتها، ودورها في الحفاظ على أمن المجتمع وسلامته.

الداعية لا يخشى في الله لومة لائم

١٠. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يمتنع أحدكم هيبة الناس، أن يتكلم بحق إذا رآه أو شهدته أو سمعه» قال أبو سعيد: وددت أني لم أسمعه. وقال أبو نضرة: وددت أني لم أكن سمعته. رواه أحمد ١٨ / (١١٤٩٨). حديث صحيح.

المعنى الإجمالي للحديث

احتمال الأذى في مواجهة المنكر والصبر عليه

وفي هذا الحديث نهى عن السكوت في موطن الحاجة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويكون السكوت أحياناً خشية كلام الناس، أو وقوع الأذى منهم باللسان، أو باليد، وقد يكون الأذى من ذي سلطان. ولكل درجته وحكمه.

فإن كان الأذى بالسب أو الشتم أو السخرية والاستهزاء، فلا يمتنع ذلك من أداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعليه أن يصبر.

لكن إن تعداه إلى الاعتقال والتضييق عليه في الرزق والمعيشة، وعلى أولاده، فهل يسكت؟ ففي الأمر تفصيل وبيان، فإننا ننظر في حجم ودرجة المنكر المراد تغييره، فإن كان مما يتعدى أثره وضرره الأفراد إلى الأمة بالنيل من عقيدتها ومبادئها ونظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أو

يُهدد مقدساتها وأوطانها وهويتها، فإن هذا الضرر المترتب على إنكار ذلك محتمل في سبيل المصلحة المتوقعة منه، وهو من فقه الموازنات بين المصالح والمفاسد.

وأما إن كان من المفاسد القاصرة على أفرادها، فإننا في هذه الحالة نرجح الاكتفاء بإنكار المنكر بالقلب.

وفي كلا الأمرين ينظر إلى مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنزلته في العلم والجاه، فليس كل الناس على درجة واحدة في المكانة والتأثير. ولا أدل على ذلك من موقف الإمام أحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن، حيث أخذ بالعزيمة في إنكار المنكر، وقس عليه مواقف كبار الدعاة والعلماء في هذا العصر.

وفي الصحيحين عن عبادة قال «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في يسرنا وعُسْرنا ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وأن لا نُنَازِعَ الأمرَ أهله، وأن نقوم - أو نقول - بالحق حيث ما كنا لا نخافُ في الله لومةَ لائم»^(١).

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية: الصبر على أذى الخلق عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن لم يستعمل لزم أحد أمرين إما تعطيل الأمر والنهي. وإما حصول فتنة ومفسدة أعظم من مفسدة ترك الأمر والنهي، أو مثلها، أو قريب منها، وكلاهما معصية وفساد، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]

(١) أخرجه البخاري ٧١٩٩، ومسلم ١٧٠٩. وانظر «الآداب الشرعية» لابن مفلح ١٨١/١.

فمن أمر ولم يصبر، أو صبر ولم يأمر، أو لم يأمر ولم يصبر، حصل من هذه الأقسام الثلاثة مفسدة، وإنما الصلاح في أن يأمر ويصبر^(١).

كشف المؤامرات الدولية على فلسطين وأهلها

وما يجري الآن من صفقات مشبوهة ومؤامرات على قضية فلسطين لإنهاءها على حساب أصحاب القضية، وضياع حق عودة المهجرين إليها، وتثبيت المحتلين والغاصبين على الأرض والمقدسات، هذه كلها منكرات عامة لا يجوز للعلماء والدعاة وأصحاب القضية التهاون فيها أو السكوت عليها مهما بلغت النتائج، وتضاعفت التكاليف، فهو من الجهاد المشروع، بل الواجب بالكلمة واللسان. فإن السكوت في هذه الحالة، أو المداينة، أو التورية فيه يغري أصحاب الباطل بباطلهم، ويغري الجهلة من الناس بمتابعة أهل الباطل، ويغري كثيرين بترك الواجب. وكما قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: إذا أجاب العالمُ تقيّةً، والجاهلُ بجهل، فمتى يتبين الحق؟!^(٢).

من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا العصر

وقد يكون إنكار المنكر في هذا الزمان بوسائل شتى تقرها القوانين والأنظمة والشرائع والأعراف الدولية، كالمسيرات السلمية، والاعتصامات، والإضرابات، والخطابات في المحافل الدولية، ووسائل التواصل الاجتماعي، والمقالات في المواقع الإلكترونية، وكل ذلك يعد من لغة العصر المتاحة

(١) انظر «الآداب الشرعية» لابن مفلح ١/ ١٨١.

(٢) انظر «الآداب الشرعية» لابن مفلح ١/ ١٨٣.

شرعاً، والتقليل من شأنها وأثرها هو سبيل المعطلين والمعوقين. ولا يقول عاقل بأن استرداد المحتل من المقدسات والبلاد لا يكون إلا بهذا السبيل، وإنما إنكارنا بهذه الوسائل إنما هو لتبصير الأمة، والإبقاء على جذوة الجهاد في سبيل الله مشتعلة لا تنطفئ، ولا يكون إرجاع الحق إلى أصحابه إلا بالجهاد في سبيل الله، لأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة مهما فرط المفرطون، وتنازل البعض عن حقوق الأمة بحجج واهية كالسلام المزعوم. وها هم أبطال غزة يخرجون بمسيرات سلمية بطولية إلى مواجهة اليهود على حدود غزة، ويتعرضون فيها للقتل والجرح والأسر، هذه المسيرات التي أعادت للقضية الفلسطينية صدارتها ومكانتها، وأن هذا الشعب لن يتنازل عن أرضه، ولن يتنازل عن حق العودة إليها، وطرده المحتل منها.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الإسلام المحكمة.
- ٢- خشية الناس لا تمنع الداعية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يتعدى إلى مصالح المجتمع وحقوق الأمة والحفاظ على مقدساتها وحرمتها يؤخذ فيه بالعزيمة، ويحتمل فيه الأذى.
- ٤- يوجه هذا الحديث الداعية إلى قول كلمة الحق بالرغم مما يلقيه من الأذى حتى لا يتعطل دين الأمة ومصالحها.

فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأولي الأمر

١١. عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ما بعث الله من نبيٍّ، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتَحُضُّه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتَحُضُّه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى». رواه البخاري (٧١٩٨).

معاني الغريب

البطانة: قال ابن الأثير: بطانة الرجل: صاحب سره وداخله أمره الذي يشاوره في أحواله.

المعنى الإجمالي للحديث

فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل ذي سلطان

الولايات كثيرة، منها ولايات خاصة، ومنها ولايات عامة، ومن الولايات الخاصة الزوج والوالد والعالم وصاحب العمل والمدير في مؤسسته، ومن الولايات العامة الحاكم في دولته، والوزير في وزارته، والنائب في نيابته، ولكل خاصته من البطانة والمستشارين الذين عليهم أن يقوموا بواجبهم في إرشاد المسؤولين، وبذل النصيحة لهم.

أنواع البطانة

وقد قسمهم النبي ﷺ إلى نوعين من الناس: أهل خير وصلاح ونصيحة وصدق وأمانة وخبرة ومعرفة، وهم ممن يخافون الله تعالى ويخشونه، يأمرون صاحب الولاية بالمعروف وينهونه عن المنكر، يبينون له طريق الحق من الباطل، ويزينون له أحكام الشريعة، ويحضونه على امتثالها وتطبيقها، ويحذرونه من مخالفتها، وتنكب طريقها. ولهم من الأجر العظيم عند الله تعالى كما قال النبي ﷺ: «من دل على خير، فله مثل أجر فاعله»^(١).

ونوع آخر من المستشارين، الذين يزينون الباطل ويشوهون الحق بأهوائهم ورغباتهم ومصالحهم الذاتية، وهم لا يخشون الله، ولا يرجون اليوم الآخر. ويأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف، ولا يدلون على خير. وهؤلاء عليهم من الوزر مثل أوزار الذين عملوا بمشورتهم.

فعلى أصحاب الولايات أن يحرصوا على أن يتخذوا بطانة لهم من الفريق الأول، لما في ذلك من صلاح المؤسسات والحكومات والدول.

ولو رحنا نستعرض أحوال أصحاب الولايات في عصرنا هذا لوجدنا الكثيرين منهم لا يقيمون وزنا للنصيحة المخلصة الصادقة، فتراهم يقربون الفريق الثاني وأصحاب المصالح، والمحسوبيات أكثر من المخلصين والصادقين. مما يؤدي بالمؤسسات العامة والخاصة إلى الفشل والهلاك.

(١) رواه مسلم ١٨٩٣.

وقد نبه النبي ﷺ على أن المشورة أمانة، ولا يقوم بالأمانة إلا الأمانة. فقال ﷺ: «المستشار مؤتمن»^(١).

اختيار نواب الأمة

ومن جانب آخر فإنه على من يوكل إليه الاختيار فعليه أن يختار الصادق الأمين، صاحب الخبرة والعلم والمعرفة والكفاءة، كاختيار نواب الأمة، والمستشارين في شتى المجالات.

اختيار مستشاري المؤسسات

وفي هذا الحديث مبادئ عظيمة في إدارة المؤسسات العامة، لأنه يوجب على أصحابها إذا اتخذوا مستشارين أن يتخذوهم نصيحة، يدلونهم على ما فيه خير مؤسساتهم، وأن تكون معايير تعيين المستشارين مبنية على الدين والخلق والصدق والأمانة، وليس المحسوبيات والمصالح.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- دعوة الولاة إلى الحرص على اتخاذ الأمانة من المستشارين. وتحذيرهم من اتخاذ مستشاري سوء.
- ٢- في هذا الحديث مبدأ عظيم من مبادئ الإدارة العامة في إدارة المؤسسات في اختيار المستشارين على مبدأ القوة والأمانة.

(١) رواه أبو داود ٥١٢٨، وابن ماجه (٣٧٤٥)، والترمذي (٢٥٢٦) و (٣٠٣٣). وإسناده صحيح.

٣- على الدعاة أن يأخذوا بهذا الحديث في الولايات المسندة إليهم مهما صغرت، أو كبرت. ودعوة أصحاب الولايات إلى الأخذ به.

تَمَثُّلُ الدَّعَاةِ بِمَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ

١٢ . عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ :
 «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ،
 فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فيقولونَ :
 أي فلانُ ما شأنُكَ؟ أليس كنتَ تأمُرُنَا بالمعروفِ وتنهَى عن
 المنكرِ؟ قال : كنتُ أمرُكم بالمعروفِ ولا آتِيه، وأنهاكم عن المنكرِ
 وآتِيه». رواه البخاري (٣٢٦٧).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

أسامة بن زيد بن حارثة حبُّ رسول الله ﷺ وابنِ جَبَّة. أمره النبي ﷺ
 على جيش لغزو الشام وعمره ثماني عشرة سنة، وفي الجيش عمر والكبار؛
 فلم يسر حتى توفي رسول الله ﷺ؛ فبادر الصديق ببعثهم، فأغاروا ناحية
 البلقاء في الأردن اليوم

ثبت عن أسامة، قال : كان النبي ﷺ يأخذني والحسن، فيقول : «اللهم إني
 أحبهما، فأحبهما»^(١). وكان شديد السواد، خفيف الروح، شجاعاً. ربه

(١) أخرجه البخاري ٣٧٤٧.

النبي ﷺ وأحبه كثيراً. قيل: إنه شهد يوم مؤتة مع والده. وقد سكن المزة مدة، ثم رجع إلى المدينة، فمات بها في آخر خلافة معاوية^(١).

معنى الغريب

أقتاب: جمع قتب، وهي الأمعاء.
فيُطيف به أهل النار، أي: يجتمعون حوله.

المعنى الإجمالي للحديث

عقوبة من يخالف فعله قوله

هذا الحديث يصور الذين يأمرون بالبر ويخالفون ما ينهون عنه بهذا المشهد المرعب، إذ كانت عقوبته يوم القيامة أنه في النار أولاً، وهو كالحمار ثانياً، ثم تندلق أمعاؤه ثالثاً، ثم يدور حول أمعائه ويطؤها بقدميه، ثم يلتف الناس الذين كان يخادعهم في الدنيا ويظهر لهم الصلاح والتقوى، فيفضحه الله تعالى عندهم. باعترافه هو وبيان حقيقة نفسه، فيقول لهم: لم أكن أمتثل ما أمركم به، أو أنهاكم عنه.

وفي هذا بيانٌ لعظم مسؤولية العلماء والدعاة والمصلحين في تمثيل ما وكل إليهم من مهمات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبليغ دين الله، فلا يخالف فعلهم ما يدعون إليه، إذ أن أول من يقصد بالدعوة صاحبها، فإن التزم بها وتمثلها، كان تأثيرها في الناس أقوى وأبلغ.

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٣٩٦/٢.

وقد عاب القرآن على اليهود حين كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ويتقواه، وبالبر، ويخالفون ما يأمرون به ويدعون الناس إليه، فغيرهم الله عَلَيْكُمْ. فقال: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

الكبائر هي سبب دخول النار

وفي الحقيقة أن دخوله النار لم يكن بسبب صغائر ارتكبتها أو كبائر تاب منها وقبل الله توبته، وإنما هي الفرائض التي كان يأمر الناس بها ثم لا يأتيها، أو الكبائر التي كان ينهى الناس عنها ثم إذا غاب عن أنظارهم ارتكبتها. كمن يأمر بالصلاة، أو الصيام، أو الزكاة ثم يخالف ما أمر به فلا يأتيه. وفي المقابل كمن ينهى عن الربا، ثم يعمد إلى البنوك الربوية، فيقترض منها بالربا. أو كمن ينهى عن أكل مال اليتيم، ثم يخالف إلى الأيتام فيأكل أموالهم. أو كمن ينهى الناس عن سفك الدماء وهتك الأعراض، ثم يخالف إلى الطغاة والمجرمين فيفتيهم بإباحة دماء الناس وأموالهم. أو كمن ينهى عن الزنا والفواحش ثم يأتيها.

محافظة الدعاة على فضائل الأعمال ونوافل العبادات

ومن جانب آخر ينبغي على الدعاة والعلماء والمصلحين أن يحافظوا على فضائل الأعمال ونوافلها التي يأمرون الناس بها ويحثونهم عليها، لأن التزامهم بها وحرصهم عليها في حياتهم العملية يجعلهم قدوة للناس من حولهم، وفي المقابل ينبغي عليهم أن يجتنبوا الصغائر من الذنوب فيما

يأمرون الناس بها. بل عليهم أن يتنزهاوا عن خوارم المروءة (محقرات الأمور مما يسقط الهيبة ويعيب صاحبه) فكما قيل: عليهم أن يتركوا ما ليس فيه بأس خشية وقوع الناس فيما فيه بأس.

وإذا ما ابتلي الداعية بمعصية من المعاصي سواء بالفعل أو بالترك، فعليه أن يتوب، وأن يراجع نفسه، وألا تُقَعِّدَ هذه المعصية عن القيام بدوره المطلوب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- في هذا الحديث مقت من يخالف قوله وفعله.
- ٢- في الحديث فضيحة من كان هذا حاله في جهنم.
- ٣- هذا الحديث يدعو الدعاة والمصلحين إلى أن يتقوا الله في أقوالهم وأفعالهم.
- ٤- هذا الحديث يدعو الدعاة والمصلحين إلى أن يكونوا في باطنهم كظاهريهم، وألا يخدعوا الناس في مظاهرهم وأشكالهم.

**فريضة الجهاد
في سبيل الله**

فريضة الجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله أفضل القربات إلى الله

١٣. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: ما يعدلُ الجهادُ في سبيلِ الله ﷻ؟ قال: «لا تستطيعونه»، قال: فأعادوا عليه مرّتين، أو ثلاثاً كلُّ ذلك يقول: «لا تستطيعونه»، وقال في الثالثة: «مثلُ المُجاهدِ في سبيلِ الله كمثلِ الصائمِ القائمِ القانتِ بآياتِ الله، لا يفتر من صيامٍ، ولا صلاة، حتّى يرجع المُجاهد في سبيلِ الله تعالى». رواه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم (١٨٧٨).

معاني الغريب

لا يفتر: لا ينقطع.

المعنى الإجمالي للحديث

الجهاد لا يعدله شيء من الأعمال

سؤال بعض الصحابة رسول الله ﷺ عن عمل يكافئ الجهاد ويساويه في الأجر والمثوبة عند الله، فيه دليل على حبهم للعمل الصالح، وعلى رغبتهم في اختيار أفضل العمل وأرجاه، وأكثره أجراً ومثوبة. وهذا يؤكد أن تربية

النبي ﷺ لهم على التنافس في الخيرات آتت أكلها، وتحققت مقاصدها. ولكثرة ما سمعوا عن الجهاد وفضله في كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ جعلهم يتساءلون هل هناك عمل آخر يساوي الجهاد في الأجر والمثوبة. فأكد لهم النبي ﷺ مكانة الجهاد في الإسلام، وأنه لا يساويه عمل مهما كان، وأراد أن يقرب لهم الصورة، فقال: لا يكافئه شيء حتى عمل ذلك الذي يصلي ولا يرقد، ويصوم ولا يفطر، وهو من المشقة البالغة التي لا يستطيعها أحد.

فقه الأولويات عند الصحابة

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن سؤالهم عن أفضل الأعمال هو منهج نبوي تربوا عليه في البحث والاستقصاء، ومعرفة الأولويات. وفي هذا الحديث قدم الجهاد على سائر الأعمال، وذلك من جهتين: من جهة الأهداف والمقاصد التي يحققها الجهاد للأمة، إذ في الجهاد نشر كلمة التوحيد في الأرض، وفيه نصر للأمة، وحفظ لمكانتها وقوتها ووجودها، ودفع الأخطار عنها. وبالجهاد نسترد أوطاننا السليبة، وثرواتنا المنهوبة، وأمجادنا المفقودة. وبه نرضي ربنا وننشر دعوتنا، لذلك كان من شعار الحركة الإسلامية في هذا الزمان «الجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا». أما الجهة الثانية: فإن فيه من الجهد والبذل ما لا يعدله بذل آخر.

أهم ما يرشد إليه الحديث

١- حرص الصحابة على معرفة أفضل الأعمال.

٢- الإشارة إلى طلب الصحابة لفقه الأولويات.

٣- الجهاد في سبيل الله لا يعدله شيء من الأعمال.

٤- توجيه للدعاة إلى القيام بواجبه في تنبيه الأمة إلى مكانة الجهاد في سبيل الله.

منزلة المجاهدين في الجنة

١٤. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وِبرسولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ فَوْقَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ - وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ. رواه البخاري (٢٧٩٠).

المعنى الإجمالي للحديث

أصل دخول الجنة ودرجات المجاهدين فيها

بين النبي ﷺ في مطلع هذا الحديث أن الإيمان هو أصل دخول الجنة وأضاف إليه الصلاة والصيام تنبيها على مكانتهما وعمومهما، ولم يذكر الزكاة والحج لاختصاصهما ببعض المسلمين دون بعض، ثم نبه على أن ذلك هو الأساس في دخول الجنة، سواء جاهد في سبيل الله أم لم يجاهد، لكن النبي ﷺ لما رأى من هذه البشارة أنها قد تفهم على وجه الدعوة إلى القعود عن الجهاد أراد أن يبين فضل المجاهدين على القاعدين بأن الله أعد

للمجاهدين في الجنة مئة درجة ما بين الدَّرَجَتَيْنِ كما بينَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

قال ابن حجر: قوله: «في الجنة مئة درجة» تعليل لتترك البشارة المذكورة، فعند الترمذي (٢٥٣٠) من رواية معاذ: قلت: يا رسول الله، ألا أخبر الناس؟ قال: «ذَرِ النَّاسَ يَعْمَلُونَ، فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ» فَظَهَرَ أَنَّ المراد: لا تُبَشِّرِ النَّاسَ بما ذَكَرْتُهُ من دخول الجنة لمن آمَنَ وَعَمِلَ الْأَعْمَالَ المفروضة عليه، فيقفوا عند ذلك، ولا يَتَجَاوَزُوهُ إِلَى ما هو أَفْضَلُ منه من الدَّرَجَاتِ التي تَحْصُلُ بِالْجِهَادِ، وهذه هي النُّكْتَةُ في قوله: «أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ». وإذا تَقَرَّرَ هذا كان فيه تَعَقُّبٌ أَيْضاً على قول بعض شُرَاح «المصابيح»: سَوَى النَّبِيِّ ﷺ بين الجهاد في سبيل الله وبين عَدَمِهِ، وهو الجلوس في الأرض التي وُلِدَ المرء فيها، ووجه التَّعَقُّبِ أَنَّ التَّسْوِيَةَ ليست على عمومها، وإنَّما هي في أصل دخول الجنة، لا في تَفَاوُتِ الدَّرَجَاتِ كما قَرَّرْتُهُ، والله أعلم. وليس في هذا السِّيَاق ما يَنْفِي أن يكون في الجنة دَرَجَاتٌ أُخْرَى أُعِدَّتْ لغير المجاهدين دون درجة المجاهدين^(١).

الفردوس الأعلى أعظم المنازل في الجنة

ثم لفت أنظارهم إلى أن هناك منزلة أعلى من كل ذلك، وهي الفردوس الأعلى، فطلب منهم أن يسألوا الله تعالى أن ينالوها، وأن هذه المنزلة هي

(١) انظر «فتح الباري» ٢٣/٩.

أفضل منازل الجنة وأعلاها، وليس فوقها إلا عرش الرحمن، ومنها تتفجر أنهار الجنة.

أهم ما يرشد إليه الحديث

١- من آمن بالله وأدى الفرائض واجتنب المعاصي كان حقاً على الله أن يدخله الجنة.

٢- الجنة درجات يتفاوت فيها المؤمنون حسب أعمالهم.

٣- خص الله المجاهدين في سبيل الله بمئة درجة كل درجة كما بين السماء والأرض.

٤- فيه حث للمؤمنين أن يطلبوا أعلى منازل الجنة ويعملوا لأجلها ويجاهدوا في سبيلها، وهي الفردوس الأعلى.

٥- ليس فوق الفردوس الأعلى إلا عرش الرحمن، ومنها تتفجر أنهار الجنة.

٦- في الحديث توجيه للدعاة إلى الله للعمل على تحصيل الدرجات العلا من الجنة، بالجهاد والتضحية في سبيل الدعوة إلى الله بالنفس والمال والعلم والدعوة والوقت. وليستبشر الدعاة بأن الله أنزلهم أرفع منازل الجنان يوم القيامة بالدعوة إليه والصبر عليها.

تمني الشهادة في سبيل الله وفضلها

١٥. عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «انتدب الله لمن خرج في سبيله: لا يُخرجُه إلا إيمانُ بي، وتصديقُ برُسلي، أن أرجعه بما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ، أو أدخله الجنة. ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيأ ثم أقتل، ثم أحيأ ثم أقتل». رواه البخاري (٣٦)، ومسلم (١٨٧٦).

معاني الغريب

انتدب الله: أي: سارع بثوابه وحسن جزائه. وقد وقع في رواية أخرى عند البخاري بلفظ: «تكفل الله».

لا يخرجُه إلا إيمانُ بي وتصديق برسلي: أي: يكون مخلصاً لله تعالى في خروجه للجهاد.

السرية: هي قطعة من الجيش تخرج منه تغير وترجع إليه، وهي الخيل تبلغ أربع مئة ونحوها، قالوا: سميت سرية لأنها تسري في الليل، ويخفى ذهابها، يقال: سرى وأسرى، إذا ذهب ليلاً^(١).

(١) انظر «شرح النووي على مسلم» ١٦٩/٦.

المعنى الإجمالي للحديث

رأفة النبي ﷺ بأمة

اشتمل هذا الحديث على معانٍ عظيمة في فضل الجهاد في سبيل الله، وفضل الشهادة في سبيل الله، حيث تكفل الله لمن خرج مجاهداً في سبيل الله صادقاً في نيته أن ينال خيراً على كل حال، فإما أن يرجع بأجر، أو بأجر وغنيمة، أو أن يستشهد فيدخل الجنة.

ويظهر من الحديث عظمة النبي ﷺ ورأفته بأمة وشفقته عليهم، بقدر حبه للجهاد والخروج مع السرايا في سبيل الله، فلولا خوفه من المشقة على أمة ما قعد خلف سرية قط. وهذا كما قلنا من وافر عطفه ورقة قلبه وحنانه ورحمته بأمة ﷺ. وهو مصداق لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

تمني النبي ﷺ للشهادة وإدراكه لها

وفي تمني النبي ﷺ أن يقتل في سبيل الله مراراً وتكراراً بيان لعظمة الشهادة في سبيل الله، وعظمة ما يلقيه الشهيد من أجر ومثوبة عند الله تعالى. وقد أدرك النبي ﷺ ما تمنى، فقد ثبت عن عبد الله بن مسعود، قال: لأن أحلف تسعاً أن رسول الله ﷺ قُتل قتلاً، أحب إلي من أن أحلف واحدة إنه لم يُقتل، وذلك بأن الله جعله نبياً واتَّخذه شهيداً. قال الأعمش: فذكرت ذلك لإبراهيم، فقال: كانوا يُروون أن اليهود سَمُّوه، وأبا بكر^(١).

(١) أخرجه أحمد ٣٨٧٣ بإسناد صحيح.

قلنا: وذلك من أثر السم الذي وضعوه في ذراع الشاة يوم خيبر، فعن أبي هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية، ولا يأكل الصدقة، فأهدت له يهودية بخير شاة مصلية سمّتها، فأكل رسول الله ﷺ منها، وأكل القوم، فقال: ارفعوا أيديكم، فإنها أخبرتني أنها مسمومة، فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصاري، فأرسل إلى اليهودية: ما حملك على الذي صنعت؟ قالت: إن كنت نبياً لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت ملكاً أرحت الناس منك، فأمر بها رسول الله ﷺ، فقتلت، ثم قال في وجعه الذي مات فيه: ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت بخير، فهذا أوان قطعت أبهري^(١).

لذة الشهادة في سبيل الله

في هذا الحديث يتمنى النبي ﷺ لو أنه يقتل في سبيل ثم فعن مسروق بن الأجدع، قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. قال أما إننا قد سألنا عن ذلك، فقال: أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً، فقال: هل تشتهون شيئاً، قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا^(٢).

(١) أخرجه أبو داود ٤٥١٢ وهو حديث صحيح. والأبهر: هو أكبر شريان في الجسم، منشؤه من الجزء العلوي من البطن الأيسر من القلب، ويغذي جميع أعضاء الجسم.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٧.

وفي تشهي الصحابة الذين استشهدوا أن يعودوا للشهادة مرة أخرى دلالة على أنهم لما ذاقوا طعم الشهادة ووجدوا جزاءها العظيم آثروا العودة إلى الدنيا ليدوقوا هذا الطعم العجيب، رزقنا الله تعالى موت الشهداء.

جواز تمني الشهادة

وفيه جواز تمني الموت في سبيل الله، ويشهد له الحديث الذي رواه مسلم عن سهل بن حنيف أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ».

وإدراكاً من أبناء الحركة الإسلامية في هذا العصر لفضل الشهادة وما أعدّه الله للشهداء، حرصوا على الشهادة وقدموا كثيراً من الشهداء في فلسطين وغيرها، وكان شعارهم الخالد: «والموتُ في سبيل الله أسمى أمانينا».

أهم ما يرشد إليه الحديث:

- ١- فيه بيان عظمة الجهاد في سبيل الله، وعظمة الشهادة في سبيل الله.
- ٢- فيه أن المجاهد في سبيل الله ينال الخير على كل حال إما الأجر، وإما الأجر والغنيمة، وإما الشهادة في سبيل الله فالجنة.
- ٣- فيه بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الرأفة والرحمة بأمته.
- ٤- فيه جواز تمني الموت في سبيل الله.
- ٥- فيه أن الجهاد فرض كفاية، حيث إن النبي ﷺ لم يخرج في كل السرايا والمعارك. هذا في غير إذا ما وقع بلدٌ من بلاد المسلمين تحت الاحتلال، فإن القاعدة الفقهية تقول: «إذا احتُلَّ شبرٌ من أرض المسلمين

باتّ الجهادُ فرضَ عينٍ على كل مسلم». وعليه فطالما أن بيت المقدس وفلسطين تحت الاحتلال الصهيوني، فإن واجب تحريرها يقع على عاتق أولي الأمر من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، كل حسب سلطانه وموقعه.

٦- وفي الحديث توجيه للدعاة في بذل ما في وسعهم بأموالهم وأنفسهم وأقلامهم وألسنتهم وبكل ما تتيحه التقنيات الحديثة، لإعلاء كلمة الله، وإرشاد الأمة إلى ما فيه عزتها وكرامتها ونهضتها واستقلالها ووحدتها، مع وافر الشفقة عليها والرحمة والرفقة بها.

فضل الرباط في سبيل الله

١٦. عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباطُ يومٍ وليلةٍ خيرٌ من صيامِ شهرٍ وقيامه، وإن ماتَ جرى عليه عمله الذي كان يعملُهُ، وأُجرِيَ عليه رزقُهُ، وأَمِنَ الفتَنَ». رواه مسلم (١٩١٣).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

سلمان ابن الإسلام، أبو عبد الله الفارسي، سابق الفرس إلى الإسلام. صحب النبي ﷺ وخدمه، وحدث عنه. وكان ليبيًا، حازمًا، من عقلاء الرجال، وعُبادهم، ونبلائهم. عاش عمرًا طويلاً، واختلفوا فيما كان يُسمى به في بلاده. وقالوا: نشأ في قرية جَيَّان، ورحل إلى الشام، فالموصل، فنصيبين، فعمورية، وقرأ كتب الفرس والروم واليهود، وقصد بلاد العرب، فلقيه ركب من بني كلب فاستخدموه، ثم استعبدوه وباعوه، فاشتراه رجلٌ من قريظة فجاء به إلى المدينة. ثم لما قدم النبي ﷺ المدينة عَلِمَ به فقصده بقباء وسمع كلامه، ولازمه أيامًا، وأعانهُ النبي ﷺ والصحابية على شراء نفسه من صاحبه. فأظهر إسلامه. وكان قويَّ الجسم، صحيح الرأي، عالماً بالشرائع وغيرها. وهو الذي دلَّ المسلمين على حفر الخندق في غزوة الأحزاب،

وَجُعِلَ أَمِيرًا عَلَى الْمَدَائِنِ، فَأَقَامَ فِيهَا إِلَى أَنْ تَوَفَّى. وَكَانَ إِذَا خَرَجَ عَطَاؤُهُ تَصَدَّقَ بِهِ. وَكَانَ يَنْسُجُ الْخَوْصَ وَيَأْكُلُ خَبْزَ الشَّعِيرِ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ. تَوَفَّى سَنَةً ٣٦ لِلْهِجْرَةِ^(١).

معاني الغريب

الرباط: الرباط عند علمائنا هو ملازمة ثغر العدو، أي: الإقامة على الحدود بين المسلمين وأعدائهم لحماية البلاد والعباد من اعتداءاتهم وكيدهم. ومع تطور الآلات والتقنيات التي تستطيع اختراق الأجواء، أصبح الرباط هو الإقامة في أي موقع يمكن فيه حماية البلاد من الأعداء، سواء كان على خطوط التماس، أو في العمق من البلاد.

وقد يكون الرباط عسكرياً، وقد يكون سلمياً كما هو حال المرابطين والمرابطات في بيت المقدس شرفه الله تعالى، وفي غزة أيدها الله ونصرها.

وأجري عليه رزقه: قال النووي: هو موافق لقول الله تعالى في الشهداء: ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

الفتان: أي: فتان القبر، كما جاء صريحاً في روايات أخرى، وهما منكر ونكير اللذان يسألانه في القبر.

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ١/ ٥٠٥، و«الأعلام» للزركلي ٣/ ١١١.

المعنى الإجمالي للحديث

معنى الرباط

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. أي: احبسوا أنفسكم على طاعة الله ورسوله، واجتناب نواهيه، وغالبوا أعداءكم في الصبر على شدائد المعارك وصعوبتها. ثم أقيموا في مواضع الرباط حماية للمسلمين وبلادهم ومقدساتهم من الأعداء.

قال ابن عاشور رحمه الله في «التحرير والتنوير»: «وقوله: ورابطوا أمر لهم بالمrabطة، وهي مفاعلة من الربط، وهو ربط الخيل للحراسة في غير الجهاد، خشية أن يفجأهم العدو، أمر الله به المسلمين ليكونوا دائماً على حذر من عدوهم، تنبيهاً لهم على ما يكيد به المشركون من مفاجأتهم على غرة بعد وقعة أحد، وقد وقع ذلك منهم في وقعة الأحزاب، فلما أمرهم الله بالجهاد أمرهم بأن يكونوا بعد ذلك أيقاظاً من عدوهم. وفي كتاب الجهاد من «البخاري»: باب فضل رباط يوم في سبيل الله، وقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ إلخ. وكانت المrabطة معروفة في الجاهلية، وهي ربط الفرس للحراسة في الثغور، أي: الجهات التي يستطيع العدو الوصول منها إلى الحي، مثل الشعاب بين الجبال. وكان المسلمون يربطون في ثغور بلاد فارس والشام والأندلس في البر، ثم لما اتسع سلطان الإسلام وامتلكوا البحار صار الرباط في ثغور البحار، وهي الشطوط التي يخشى نزول العدو منها. مثل رباط المنستير بتونس بإفريقية، ورباط سلا بالمغرب،

ورُبط تونس ومَحَارِسُهَا: مثل مَحْرَس علي بن سالم قُرب صفاقس. فأمر الله بالرباط كما أمر بالجهاد». قلنا: وكان هناك رُبط أخرى كثيرة على شطآن البحار وحدود الدولة الإسلامية من جهة المشرق العربي على البحر الأبيض المتوسط، كرباط صور وصيدا وعسقلان والإسكندرية، وغيرها.

صور أخرى للرباط

هذا، وإن للرباط في عصرنا صوراً أخرى كالرباط على بعض الآلات العسكرية، في الحماية الجوية والبرية والبحرية عن بُعد، وليس على خطوط التماس مع العدو. وهذا يعني أن الثغور لم تعد فقط هي حدود التماس، وإنما الرباط في أيّ موقع يُمكن من خلاله الدفاع عن البلاد.

وما أنفاق غزة عن هذا بعيد، بل إنها أشد مصابرة ومرابطة وجهادا، من المرابطين فوق الأرض، لما يتعرض له المرابطون فيها من مشقة بالغة، وأخطار هائلة في الانهيارات وغيرها، وضيق في المكان والهواء، وقلة في المؤونة، نسأل الله لهم السلامة والعافية، وأن يكتب لهم الثبات النصر.

وقد يكون الرباط سلمياً كالمرابطين والمرابطات في بيت المقدس، فإنهم ثابتون في مواقعهم ليل نهار لعمارة المسجد الأقصى، ودفاعاً عنه ليمنعوا تقسيمه زمانياً ومكانياً. وحراسته من قطاعان المستوطنين، واعتداءاتهم.

فضل الرباط

وفي هذا الحديث بيان لفضيلة الرباط في سبيل الله، وهي فضيلة يختص بها المرابطون دون سواهم من المسلمين، فالمسلم ينقطع عمله إذا مات إلا

من استثناه الله منهم في أعمال مخصوصة ومقيدة، حيث قال النبي ﷺ فيما يرويه الترمذي عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له».

أما المرابط فإنه يجري له بعد موته عمله الصالح الذي كان يعمل في الدنيا إلى يوم القيامة، وقد جاء ذلك صريحاً فيما رواه الترمذي وغيره عن فضالة ابن عبيد، أن رسول الله ﷺ قال: «كل ميت يُختم على عمله إلا الذي مات مُرابطاً في سبيل الله، فإنه يُنمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر».

وأما أنه يجري عليه رزقه، فهي فضيلة تكافئ فضيلة الشهداء في سبيل الله، وهي فضيلة عظيمة ذكرها الله تعالى في كتابه حينما قال: ﴿أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وأما أنه يأمن فتنة القبر، فقد قال شمس الدين العلقمي^(١): يحتمل أن يكون المراد أن الملكين لا يجيئان إليه ولا يختبرانه، بل يكفي موته مرابطاً في سبيل الله شاهداً على صحة إيمانه، ويحتمل أنهما يجيئان إليه لكن لا يضرانه ولا يحصل بسبب مجيئهما فتنة.

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن علي العلقمي شمس الدين، توفي سنة ٩٦٩هـ - ١٥٦١ م. له شرح على «الجامع الصغير» للسيوطي، اسمه «الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير». انظر خزانة التراث - فهرس مخطوطات المؤلف: إصدار مركز الملك فيصل.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١ - بيان فضيلة الرباط في أي موقع يكون فيه حماية للمسلمين وبلادهم من الأعداء.
- ٢ - الرباط كما يكون عسكرياً، فإنه يكون سلمياً.
- ٣ - للمرابطين فضيلة ليست لأحد من المسلمين، وهي أن صحفهم لا تطوى بعد موتهم، بل يكتب لهم أجر ما كانوا يعملون إلى قيام الساعة.
- ٤ - وهناك فضيلتان أخريان للمرابطين: وهما أنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وأنهم يأمنون فتنة القبر.
- ٥ - في الحديث توجيه للدعاة بأن يعملوا على تحقيق معنى الرباط في كل بلد إسلامي يهدده الأعداء. وأن كل واحد من الدعاة على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبله. ودعم المرباطين لا يقل أجراً عن الرباط نفسه.

فضل من اغبرت قدماه في سبيل الله

١٧. عن أبي عبسٍ رضي الله عنه، قال: سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقولُ: «مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». رواه البخاري (٩٠٧).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

أبو عبس عبد الرحمن بن جبر بن عمرو الأوسي، بدري كبير، له ذرية بالمدينة وببغداد. وكان يكتب بالعربية، وكان هو وأبو بردة بن نيار يكسران أصنام بني حارثة. شهد بدرًا والمشاهد، وكان عمر وعثمان يبعثانه مُصَدِّقًا^(١). مات بالمدينة سنة ٣٤ للهجرة، وصلى عليه عثمان، وعاش سبعين سنة، وقبره بالبقيع^(٢).

المعنى الإجمالي للحديث

فضل المشقات التي يجدها المجاهد

هذا الحديث عظيم في بابه، إذ يتناول فضل المجاهد في سبيل الله، ويشمل هذا الفضل جميع أعمال المجاهد، ويشمل كافة أنواع المشقات التي تصيبه مهما قلت حتى الغبار الذي يعلق بقدميه، وقد عبر عن الأدنى، وهو الغبار، ليدل على الأعلى من باب أولى. ففي الإعداد مشقة، وفي فراق

(١) أي: يأخذ الزكاة من أهلها لبيت مال المسلمين.

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» ١/ ١٨٨.

أهله مشقة، وفي حاجة أهله إليه مشقة، وفي تركه لأعماله مشقة، وفي السفر مشقة، وفي الطريق مشقة، أما عند اللقاء مع العدو وعند بارقة السيوف فكفى به مشقة.

فضل المرابطين والمجاهدين في بيت المقدس وغزة

أما المرابطون فإن أجرهم لا يقل عن أجر المجاهدين، فيشملهم هذا الحديث، وأجورهم متنوعة بتنوع المشقات التي تنالهم. فالمرابط في بيت المقدس الذي يتعرض للضرب والأسر والإبعاد وغيرها من أنواع الأذى، فإنها كلها في سبيل الله، وكلها لها من الأجور ما لا يعلمه إلا الله.

وكذا أولئك المجاهدون والمرابطون في غزة العزة، الذين يدافعون عن شرف الأمة وكرامتها، الثابتون في مواقعهم، الثابتون على حقهم في الأرض والمقدسات، وكل الذين خرجوا في مسيرة العودة، ليصل صوتهم الحق إلى كل بقاع الدنيا، فما أشعلوه من إطارات، وما أصابهم من دخانها ومشقتها فإنه يشملهم هذا الحديث. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

الدعوة إلى الله جهاد

وكذا سائر أنواع الجهاد وما يلحق بها من مشقة، فالدعوة إلى الله بجميع الوسائل المتاحة الحديثة منها والقديمة، فيها من المشقة أنواع وأنواع، فكل ما يصيب الداعية منها من تضيق عليه في الرزق، والعمل، والتشهير،

والسخرية والاستهزاء، والاتهامات الباطلة، والسجن والتعذيب، وغيرها، فإن ذلك كله مما يشمل هذا الحديث.

أهم ما يرشد إليه الحديث

١- إن للجهاد في سبيل الله شرفاً عظيماً يجعل أقل ما يصيب المجاهد من مشقة فيه من الأجور ما يحرم الله به المجاهد على النار.

٢- لما ذكر أقل ما يصيب المجاهد وهو الغبار، فقد فتح الباب لما هو أكبر منه.

٣- ليس المجاهد هو الذي يقاتل بسلاحه فحسب، وإنما يتسع المعنى ليشمل الذي يجاهد بماله، وقلمه، ولسانه، وفكره، ومكانته، وغيرها من صور الجهود المبذولة في سبيل الله تعالى.

٤- الحديث يوجه الدعاة إلى مزيد من بذل الجهد والعطاء في سبيل الدعوة إلى الله، وأن لا يستهينوا بأي جهد مهما قل، فإن ذلك كله سبيل إلى الجنة. جعلنا الله من أهلها.

فضل من جهز غازياً في سبيل الله أو خلفه في أهله بخير

١٨. عن زيد بن خالد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا». رواه البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٨٩٥).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

زيد بن خالد الجهنّي المدني، شهد الحديبية، وكان معه لواء جُهينة يوم الفتح، توفي في المدينة سنة ٧٨ للهجرة عن ٨٥ سنة^(١).

المعنى الإجمالي للحديث

فضل دعم المجاهدين ورعاية أهليهم

قال النووي: قوله ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»: أي: حصل له أجر بسبب الغزو، وهذا الأجر يحصل بكل جهاد، وسواء قليله وكثيره، ولكل خالف له في أهله بخير من قضاء حاجة لهم، وإنفاق عليهم، أو مساعدتهم في أمرهم، ويختلف قدر الثواب بقلة ذلك وكثرته. وفي هذا الحديث: الحث على الإحسان إلى من فعل مصلحة للمسلمين، أو قام بأمر من مهماتهم^(٢).

(١) انظر «الأعلام» للزركلي ٥٨/٣.

(٢) انظر «شرح النووي على مسلم» ٤٠/١٣.

وفي رواية لابن ماجه (٢٧٥٨)، وابن حبان (٤٦٢٨) من حديث عمرَ نحوه بلفظ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا حَتَّى يَسْتَقِلَّ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرْجِعَ». قال ابن حجر: وأفادت فائدتين: إحداهما: أَنَّ الوَعْدَ المذكورَ مُرْتَبٌّ عَلَى تَمَامِ التَّجْهِيزِ، وَهُوَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ: «حَتَّى يَسْتَقِلَّ». ثانيهما: أَنَّهُ يَسْتَوِي مَعَهُ فِي الْأَجْرِ إِلَى أَنْ تَنْقُضِيَ تِلْكَ الْغَزْوَةَ.

قال ابن حجر: وأما ما أخرجه مسلم (١٨٩٦) من حديث أبي سعيد: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا وَقَالَ: «لِيُخْرِجَ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلًا وَالْأَجْرُ بَيْنَهُمَا»، وفي رواية له (١٨٩٦ / ١٣٨): ثُمَّ قَالَ لِلْقَاعِدِ: «وَأَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ، كَانَ لَهُ مِثْلُ نَصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ»، ففيه إشارة إلى أَنَّ الْغَازِي إِذَا جَهَّزَ نَفْسَهُ أَوْ قَامَ بِكِفَايَةِ مَنْ يَخْلُفُهُ بَعْدَهُ، كَانَ لَهُ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ.

فضل رعاية أسر الأسرى والشهداء

قلنا: وفي زماننا هذا فإن دعم المجاهدين في غزة، والمرابطين في بيت المقدس، له من الأجر مثل أجورهم. وإلى جانب تجهيز المجاهدين، والقيام على رعاية أهليهم، فإن كفالة الأسرى في سجون العدو ورعاية أهليهم، والقيام على شؤونهم، ورعاية أسر الشهداء وأبناء الشهداء، يدخل في هذا الحديث، فإنه لا يقل أجراً عن تجهيز المجاهدين.

أهم ما يرشد إليه الحديث:

١- عظم أجر تجهيز المجاهد في سبيل الله.

- ٢- يدخل في معنى الحديث رعاية ذوي الشهداء والأسرى والمعتقلين.
- ٣- يدل الحديث على أن للمتسبب في أي عمل صالح له مثل أجل العامل فيه.
- ٤- في الحديث توجيه للدعاة وحث لهم على تبصير الأمة بواجبها نحو المجاهدين والأسرى والشهداء والمعتقلين وذويهم.

القتال في الإسلام

لتكون كلمة الله هي العليا

١٩. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما القتال في سبيل الله؟ فإنَّ أحدنا يُقاتلُ غَضَباً، ويُقاتلُ حَمِيَّةً. فَرَفَعَ إليه رأسه - قال: وما رَفَعَ إليه رأسه إلاَّ أَنَّهُ كان قائماً - فقال: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ». رواه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

أبو موسى عبد الله بن قيس، الأشعري، من بني الأشعر، من قحطان. الإمام الكبير، الفقيه المقرئ، وهو معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ، أقرأ أهل البصرة وفقَّههم في الدين، وهو من الشجعان الولاة الفاتحين. ولد في زبيد باليمن، وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة. ثم استعمله رسولُ الله ﷺ على زبيد وعدن. وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧ هـ، فافتتح أصبهان والأهواز. ولما ولي عثمان أقره عليها. ثم عزله، فانتقل إلى الكوفة، فطلب أهلها من عثمان توليته عليهم، فولاه، فأقام بها إلى أن قتل عثمان، فأقره علي. وكان أحسن الصحابة صوتاً في التلاوة، خفيف الجسم، قصيراً. توفي بالكوفة سنة ٤٤ للهجرة^(١).

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٣٨٠، و«الأعلام» للزركلي ٤/ ١١٤.

معاني الغريب:

الْحَمِيَّة: قال النووي: هي الأنفة والغيرة والمُحَاماة عن عَشِيرَتِهِ.

المعنى الإجمالي للحديث

أهداف القتال في الإسلام

يبين هذا الحديث أن القتال قد يكون لأغراض شتى، ومعظمه يهدف لتحصيل أمور دنيوية، من سلطان، أو مال، أو أرض، أو غضباً لفرد، أو عشيرة، أو شعب، لكن القتال في الإسلام إنما يكون لهدف واحد، وهو إعلاء كلمة الله ﷻ. قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» فَقَامُوا يَرْجُونَ لَذَلِكَ أَتَاهُمْ يُعْطَى، فَعَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟» فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. فَأَمَرَ فَدُعِيَ لَهُ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ، فَقَالَ: نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري ٢٩٤٢، ومسلم ٢٤٠٥.

فإعلاء كلمة الله تعالى تعني أن يكون الحكم لله الواحد القهار، وأن يكون السلطان للمسلمين من عباد الله الصالحين، لما في هذا السلطان من رحمة للخلق، وعدالة بين الناس، وإنقاذ للضعفاء والشعوب التي استعبدها الطغاة.

قال سيد قطب^(١): «جاهد الإسلام أولاً ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة التي كانوا يسامونها، وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم. وقرر ذلك المبدأ العظيم الذي سلف تقريره في هذه السورة (سورة البقرة) - في الجزء الثاني - «وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ».. فاعتبر الاعتداء على العقيدة والإيذاء بسببها، وفتنة أهلها عنها أشد من الاعتداء على الحياة ذاتها. فالعقيدة أعظم قيمة من الحياة وفق هذا المبدأ العظيم. وإذا كان المؤمن مأذوناً في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله، فهو من باب أولى مأذون في القتال ليدفع عن عقيدته ودينه.. وقد كان المسلمون يسامون الفتنة عن عقيدتهم ويؤذون، ولم يكن لهم بد أن يدفعوا هذه الفتنة عن أعز ما يملكون. يسامون الفتنة عن عقيدتهم، ويؤذون فيها في مواطن من الأرض شتى.

وجاهد الإسلام ثانياً لتقرير حرية الدعوة - بعد تقرير حرية العقيدة - فقد جاء الإسلام بأكمل تصور للوجود والحياة، وبأرقى نظام لتطوير الحياة. جاء بهذا الخير ليهديه إلى البشرية كلها ويبلغه إلى أسماعها وإلى قلوبها. فمن شاء بعد البيان والبلاغ فليؤمن ومن شاء فليكفر. ولا إكراه في الدين. ولكن

(١) في «الظلال» ١/ ٢٤٩.

ينبغي قبل ذلك أن تزول العقوبات من طريق إبلاغ هذا الخير للناس كافة كما جاء من عند الله للناس كافة. وأن تزول الحواجز التي تمنع الناس أن يسمعوا وأن يقتنعوا وأن ينضموا إلى موكب الهدى إذا أرادوا. ومن هذه الحواجز أن تكون هناك نظم طاغية في الأرض تصد الناس عن الاستماع إلى الهدى وتفتن المهتدين أيضاً. فجاهد الإسلام ليحطم هذه النظم الطاغية وليقيم مكانها نظاماً عادلاً يكفل حرية الدعوة إلى الحق في كل مكان وحرية الدعاة.. وما يزال هذا الهدف قائماً، وما يزال الجهاد مفروضاً على المسلمين ليبلغوه إن كانوا مسلمين!».

التاريخ الأسود للحروب عند الأمم الأخرى

وما تاريخ البشرية في الغالب إلا سلسلة من صور الاستبداد والقهر والاستعباد. وهذا هو تاريخ الحروب عند اليونان والرومان والفرس والفراعنة والصليبيين والمغول والنازيين والحلفاء في الحربين العالميتين الأولى والثانية، تلك الحروب التي أهلكت الحرث والنسل، وجرت الولايات على الأرض تدميراً وسفكاً للدماء واستعباداً للشعوب، ونهباً لثرواتها، وحرمانها من أدنى الحقوق الإنسانية. وما زالت البشرية ترسف تحت نير الاستعباد من آثار تلك الحروب، فكم من الدول والشعوب هي نهب للنظام العالمي الجديد الذي أنتجته الحربان العالميتان، وعلى الأخص العالم الإسلامي وفلسطين.

قال سيد قطب^(١): «وقد شهدت الأندلس من بشاعة التعذيب الوحشي والتقتيل الجماعي لفتنة المسلمين عن دينهم، وفتنة أصحاب المذاهب المسيحية الأخرى ليرتدوا إلى الكثرة، ما ترك إسبانيا اليوم ولا ظلَّ فيها للإسلام! ولا للمذاهب المسيحية الأخرى ذاتها! كما شهد بيت المقدس وما حوله بشاعة الهجمات الصليبية التي لم تكن موجهة إلا للعقيدة والإجهاد عليها، والتي خاضها المسلمون في هذه المنطقة تحت لواء العقيدة وحدها فانتصروا فيها وحموا هذه البقعة من مصير الأندلس الأليم.. وما يزال المسلمون يسامون الفتنة في أرجاء المناطق الشيوعية والوثنية والصهيونية والمسيحية في أنحاء من الأرض شتى.. وما يزال الجهاد مفروضاً عليهم لرد الفتنة إن كانوا حقاً مسلمين!».

أهم ما يرشد إليه الحديث:

- ١- يحدد النبي ﷺ في هذا الحديث غاية الجهاد أن يكون في سبيل الله.
- ٢- في هذا الحديث قدم الإسلام رابطة العقيدة على رابطة الدم والعرق.
- ٣- لا ينفي الحديث حرية العقيدة، فالقتال في سبيل الله يعني مما يعنيه إزالة الحواجز أمام الدعوة إلى الله والوصول إلى تبليغ الناس كلمة التوحيد.

(١) في «الظلال» ١/ ٢٤٩.

٤- يرشد الحديث الدعاة إلى حمل الرسالة وتبليغها إلى الناس، وأن يجددوا نيّتهم في الدعوة إلى الله، وأن يقدموا رابطة العقيدة على رابطة العشيرة القبلية.

قتال اليهود

٢٠. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ، فَتُسَلِّطُونَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَقُولُ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ». رواه البخاري (٣٥٩٣)، ومسلم (٢٩٢١).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، رضي الله عنهم. أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه ولم يحتلم، واستُصغر يوم أحد، فأول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة. وشهد فتح مكة. وهو شقيق حفصة أم المؤمنين، وأمهما زينب بنت مظعون؛ أخت عثمان بن مظعون الجُمَحي.

روى علماً كثيراً نافعاً عن النبي ﷺ. أفتى الناس في الإسلام ستين سنة. ولما قُتل عثمان عَرَضَ عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى. وغزا إفريقية مرتين: الأولى مع ابن أبي سرح، والثانية مع معاوية بن حُديج سنة ٣٤ هـ، وكُفَّ بصره في آخر حياته. وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة سنة ٧٣ للهجرة^(١).

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٣/٢٠٣، و«الأعلام» للزركلي ٤/١٠٨.

المعنى الإجمالي للحديث

مجيء اليهود مع الدجال وقتالهم

قال ابن حجر رحمه الله: قوله: «تقاتلكم اليهود فُتْسَلَطُونَ عليهم» في رواية أحمد (٥٣٥٣) من طريق أخرى عن سالم، عن أبيه: «يَنْزِلُ الدَّجَالُ هذه السَّبَخَةَ - أي: خارج المدينة - ثُمَّ يُسَلِّطُ اللَّهُ عليه المسلمين فيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ، حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ لَيَخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ والحجر، فيقول الحجر والشَّجَرَةُ للمسلم: هذا يهودي فاقتله». وعلى هذا فالمراد بقتال اليهود وقوع ذلك إذا خَرَجَ الدَّجَالُ ونزل عيسى، وكما وقع صريحاً في حديث أبي أمامة في قصة خروج الدَّجَالِ ونزول عيسى، وفيه: «وراء الدَّجَالِ سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف مُحَلَّى، فيُدْرِكُهُ عيسى عند باب لُدٍّ فيَقْتُلُهُ وَيَنْهَزِمُ الْيَهُودُ، فلا يبقى شيء مما يَتَوَارَى به يهوديٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ ذلك الشيء، فقال: يا عبد الله - للمسلم - هذا يهودي فتعال فاقتله، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ»، أخرجه ابن ماجه مُطَوَّلًا (٤٠٧٧)، وأصله عند أبي داود (٤٣٢٢)، ونحوه في حديث سَمُرَةَ عند أحمد (٢٠١٩٨) بإسناد حسن، وأخرجه ابن مندة في كتاب الإيمان (١٠٣٣) من حديث حُذَيْفَةَ بإسناد صحيح^(١).

قتال اليهود قبل مجيئهم مع الدجال

قلنا: وليس في الحديث نفي قتال اليهود قبل ذلك الزمان، فإن الحديث وإن كان يتكلم عن قتال اليهود في زمن الدجال، فإنه لا يعني أنه لا قتال بين

(١) انظر «فتح الباري» ١٠/٥٠٣

المسلمين واليهود قبل ذلك، فإن الله تعالى بين لنا في سورة الإسراء أنه سيكون لليهود إفسادان عظيمان، يبلغون فيهما علواً كبيراً، ولكنه تهددهم سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ أي إن عدتم للإفساد عدنا للتدمير، وعليه فقد يتكرر منهم الإفساد، وفي كل مرة يرسل الله عليهم المسلمين يدمرونهم تدميراً، لأننا نعتقد أن إفسادهم الأول هو إفسادهم في المدينة زمن النبي ﷺ، حيث كفروا بالنبي الخاتم محمد ﷺ وعملوا على قتله، وإطفاء نور شريعته، وتحريف الكتاب الذي أنزل عليه، وتشويه الدين الذي جاء به، وتآمروا مع المنافقين عليه ﷺ وعلى رسالته، فقضى النبي ﷺ على إفسادهم هذا في غزوات متلاحقة. وأما إفسادهم الثاني فهو إفسادهم في هذا الزمان في إزالة دولة الإسلام والمسلمين، وتمزيق وحدتهم، وتحكيم المناهج الضالة في شؤون حياتهم، وتشويه الإسلام عند أبنائهم، وصناعة المذاهب الإلحادية والعلمانية الهدامة في الفكر والاجتماع والأخلاق، ودعم أوليائهم من هذه الأمة، ليصلوا إلى أعلى مراكز السلطة والتوجيه، لتهيئة الأسباب والظروف المساعدة لقيام دولتهم على أرض فلسطين. وقد بلغوا في الإفساد منتهاه في شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والأخلاقية. وقد أخبر القرآن الكريم أن القضاء على هذا الإفساد مرة أخرى سيكون على يد عباد الله المسلمين. قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ

أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) ﴿٧﴾.

أهم ما يرشد إليه الحديث:

- ١- أن هذا الدين باق إلى يوم القيامة.
- ٢- أن معركتنا مع اليهود باقية إلى زمن الدجال، وأننا سننتصر عليهم.
- ٣- لا ينفي الحديث قتالنا لليهود قبل ذلك.
- ٤- ظهور بعض الآيات قرب قيام الساعة، مثل نطق الحجر والشجر.
- ٥- في الحديث توجيه للدعاة للعمل على إرشاد الأمة إلى ما فيه نصرها على اليهود، وبث روح الأمل والبشارة في نفوس أبنائها.

من أسباب النصر في الإسلام

٢١. عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبّيد الله، قال: كنت كاتباً له، كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحرورية، فقرأته فإذا فيه: إن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس. ثم قام في الناس، فقال: «أيها الناس، لا تمنّوا لقاء العدو، وسلّوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلّ الشّيف» ثم قال: «اللهم منّزل الكتاب، ومُجرّي السّحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصُرنا عليهم». رواه البخاري (٣٠٢٤) و(٣٠٢٥)، ومسلم (١٧٤٢).

التعريف برجال الحديث

عبد الله بن أبي أوفى واسم أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي أبو معاوية الكوفي. الفقيه، المعمر، من أهل بيعة الرضوان، وخاتمة من مات بالكوفة من الصحابة. وكان أبوه صحابياً أيضاً. وله: عدة أحاديث. وقد كُفّ بصره من الكبر. توفي عبد الله سنة ست وثمانين للهجرة، وقد قارب مئة سنة^(١).

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٦/٦.

سالم أبو النصر: هو ابن أبي أمية المدني كاتب عمر بن عبيد الله التيمي، ومولاه. قال ابن المديني: له نحو من خمسين حديثاً. وقال أبو حاتم: صالح، ثقة. قيل: توفي سنة تسع وعشرين ومئة. وقيل: سنة ثلاث وثلاثين ومئة^(١).
عمر بن عبيد الله: هو ابن معمر أبو حفص التيمي الأمير، من أشرف قريش. كان جواداً، ممدحاً، شجاعاً، كبير الشأن، له فتوحات مشهودة، ولي البصرة لابن الزبير. ثم وفد على عبد الملك، وتوفي بدمشق. وكان يضرب بشجاعته المثل. توفي سنة اثنتين وثمانين للهجرة^(٢).

معنى الغريب

الحرورية: طائفة من الخوارج نسبوا إلى حروراء، وهو موضع قريب من الكوفة، كان أول مجتمعهم وتحكيمهم فيها، وهم أحد الخوارج الذين قاتلهم علي كرم الله وجهه.

المعنى الإجمالي للحديث

من أسباب النصر

أولاً: الاعتماد على الله والتوكل عليه

جاء في سبب إيراد هذا الحديث ما قصه لنا سالم أبو النصر مولى عمر بن عبيد الله، وذلك حين خرج عمر بن عبيد الله التيمي إلى قتال الخوارج، حيث

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٧٣.

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٧٣.

كتب إليه ابن أبي أوفى هذا الحديث وأرسله إليه، فقرأه عليه كاتبه سالم أبو النضر، تنبيهاً له إلى بعض ما ورد عن النبي ﷺ في آداب لقاء العدو، وتحذيراً له من الإعجاب بالنفس، أو إهمال قوة العدو، وأن يُعَدَّ العُدَّة المناسبة للقاء العدو.

والظاهر من الرواية أن النبي ﷺ قاله في إحدى الغزوات بين يدي لقاء العدو، تنبيهاً لأصحابه رضوان الله عليهم إلى الاعتماد على الله والتوكل عليه، وأن يتوجهوا إليه بالدعاء وطلب العافية والسلامة.

ثانياً: الصبر على العدو وعدم تمني لقاءه

ينهى النبي ﷺ في هذا الحديث عن تمني لقاء العدو، لما فيه من الاغترار بالقوة والإعجاب بالنفس وبالعدد والعدة، وما حصل في حنين حين اغتر بعض المسلمين بعددهم وعدتهم ليس عن هذا ببعيد. يضاف إلى ذلك أحياناً عدم المبالاة بقوة العدو، الأمر الذي قد يؤدي إلى قلة الاستعداد له.

ولما في لقاء العدو أيضاً من شدة وضنك تقع على النفس والمال قد تذهب بهما، لذا خشي النبي ﷺ أن يتضمن هذا التمني تمني الموت، الذي جاء النهي عنه في أحاديث أخرى. وإلا فالقتال خيرٌ كله، ففيه من العزة والكرامة ونشر الإسلام واسترداد المغتصب من أرض الإسلام ما لا ينكر فضله. لذا أردف النبي ﷺ هذا النهي بقوله: واسألوا الله العافية. وهو من الأدعية العامة التي تشمل خير الدنيا والآخرة^(١).

(١) انظر «شرح النووي على مسلم» ٤٥/١٢.

قال ابن بطّال أحد شراح صحيح البخاري: حِكْمَةُ النَّهْيِ أَنَّ الْمَرْءَ لَا يَعْلَمُ مَا يُؤُولُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ، وَهُوَ نَظِيرُ سُؤَالِ الْعَافِيَةِ مِنَ الْفِتَنِ، وَقَدْ قَالَ الصَّدِيقُ: لِأَنَّ أَعَافَى فَأَشْكُرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْتَلَى فَأَصْبِرُ^(١).

وفي قوله ﷺ: «وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا» أمر بالصبر في القتال وهو أهم أركانه، وقد جمع الله سبحانه أهم آداب القتال في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

ثم أراد النبي ﷺ أن يبين فضل الجهاد ومكانته في الإسلام، كي لا يفهم من كراهة تمني لقاء العدو كراهة الجهاد في سبيل الله وإنكار فضله، فقال: «واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» أي: أن الجهاد في سبيل الله ليس له جزاء إلا الجنة.

ثالثاً: الدعاء عند لقاء العدو

ثم وجه الصحابة رضوان الله عليهم إلى التوجه إلى الله تعالى بالدعاء الخالص لله، لما فيه من إخلاص النية له وحده سبحانه، والاعتماد عليه والتوكل عليه، والإيمان بعظمته سبحانه وقدرته وتفردته في تدبير هذا الكون، وأن النصر بيده سبحانه. فقد كان النبي ﷺ في جميع غزواته يلجأ إلى الله بالدعاء ويلح عليه بالمناشدة ويرفع يديه إلى السماء حتى يظهر بياض إبطيه، ويبكي ويتوسل، حتى قال له أبو بكر في بدر: كفأك مناشدتك ربك.

(١) انظر «فتح الباري» ٩/ ٢٨٥.

وفي هذا الدعاء اختص النبي ﷺ التوجه إلى الله تعالى بصفاته وأعماله سبحانه المختصة بنصر المجاهدين في المعركة. قال ابن حجر: «أشار بهذا الدعاء إلى وجوه النصر عليهم:

فأشار بمنزل الكتاب: إلى قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤].

وأشار بمُجري السحاب: إلى القدرة الظاهرة في تسخير السحاب حيث تُحرّكه الرّيح بمشيئة الله تعالى، وحيث يَسْتَمِرُّ في مكانه مع هُبُوب الرّيح، وحيث تُمطر تارةً وأخرى لا تُمطر، فأشار بحركته إلى إعانة المجاهدين في حركتهم في القتال، وبوقوفه إلى إمساك أيدي الكفار عنهم، وبإنزال المطر إلى غنيمة ما معهم حيث يَتَّفِق قتلهم، وبعدهم إلى هزيمتهم حيث لا يحصل الظفر بشيء منهم، وكلها أحوال صالحة للمسلمين.

وأشار بهازم الأحزاب: إلى التّوسّل بالنّعمة السابقة، وإلى تجريد التّوكل، واعتقاد أنّ الله هو المنفرد بالفعل.

وفيه التّنبية على عِظَم هذه النّعم الثلاث، فإنّه بإنزال الكتاب حَصَلَت النّعمة الأخرى، وهي الإسلام، وبإجراء السّحاب حَصَلَت النّعمة الدّنيوية، وهي الرّزق، وبهزيمة الأحزاب حَصَلَ حِفْظ النّعمتين، وكأنّه قال: اللهمّ كما أنعمت بعظيم النّعمتين الأخرى والدّنيوية فاحفظهما، وأبقهما»^(١).

(١) انظر «فتح الباري» ٩/ ٢٨٧. بشيء من التصرف.

قلنا: وإلى جانب هذا، فقد نصر الله تعالى عباده المؤمنين في بدر بإنزال المطر، وفي الأحزاب بإرسال الريح، وقد يكون دعاء النبي ﷺ بقوله: «مجري السحاب» أي: نسألك اللهم أن تجعل السحاب وما يلحق به سبباً من أسباب نصرنا، ويكون بهذا الدعاء على الحقيقة، وليس على المجاز كما أشار ابن حجر رحمه الله.

رابعاً: الإعداد مع الصبر والدعاء

وما ورد في هذا الحديث إنما هو فيما يتعلق بلقاء العدو وما يلزمه من أسباب للنصر، وإلا فإن هناك أسباباً أخرى تسبق هذا اليوم، من الإعداد المادي والمعنوي بجميع صورهما، من تعبئة الجيوش وتسليحها وما يلزم المعركة من التخطيط والإدارة القتالية وسائر المعارف العسكرية، وغيرها. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- ألا يغتر المجاهدون بقوتهم المادية في العدد والعدة.
- ٢- الاعتماد على الله والتوكل عليه والتذلل إليه ودعاؤه سبحانه بالنصر والتمكين.
- ٣- بيان منزلة الجهاد في الإسلام، وأنه ليس له جزاء إلا الجنة.
- ٤- يوجه هذا الحديث الدعاة إلى التواضع لله تعالى، واستكمال أسباب الإعداد لمواجهة الأعداء بما يتاح من قوة مادية ومعنوية، وإرشاد الناس إلى ما فيه نصرهم وتمكينهم.

من أخلاق الإسلام في الجهاد

٢٢. عن بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ رضي الله عنه، قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أَمَرَ أميراً على جيشٍ، أو سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ في خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْراً، ثم قال: «اغزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، في سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً». رواه مسلم (١٧٣١).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

بريدة بن الحُصَيْب بن عبد الله أبو عبد الله الأسلمي. قيل: إنه أسلم عام الهجرة، إذ مرَّ به النبي ﷺ مهاجراً. وشهد غزوة خيبر، والفتح، وكان معه اللواء. واستعمله النبي ﷺ على زكاة قومه. وكان يحمل لواء الأمير أسامة حين غزا أرضَ البلقاء إثر وفاة رسول الله ﷺ. له جملة أحاديث، نزل مرو^(١)، ونشر العلم بها. وسكن البصرة مُدَّةً. ثم غزا خراسان زمن عثمان، فحكى عنه مَنْ سمعَه يقول وراء نهر جيحون: لا عيشَ إلَّا طِرادُ الخيل بالخيل. وكان بريدةً مِنْ أُمراءِ عمر بن الخطاب في نوبةِ سرغ^(٢). توفي سنة اثنتين وستين^(٣).

(١) مدينة في تركمانستان.

(٢) سرغ: أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل حاج الشام. معجم البلدان ٣/ ٢١٢.

(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٤٦٩ - ٤٧٠.

معاني الغريب:

السرية: هي قطعة من الجيش تخرج منه تغير وترجع إليه، وهي الخيل تبلغ أربع مئة ونحوها، قالوا: سميت سرية لأنها تسري في الليل، ويخفى ذهابها، يقال: سرى وأسرى، إذا ذهب ليلاً^(١).

تغلوا: الغلول: الأخذ من الغنائم قبل أن تقسم.

تمثلوا: التمثيل: تشويه القتلى.

المعنى الإجمالي للحديث

من أخلاق الإسلام في الجهاد

أولاً: تقوى الله

بين هذا الحديث آداب القتال في الإسلام، وأن القتال سبيل للهداية والإصلاح، فقد جاء فيه أمور عديدة: أولها: يتعلق بقيادة الجيش حيث أمر القائد بتقوى الله في خاصة نفسه، وهذه كلمة جامعة لجميع معاني الخير بأن تكون نيته خالصة لله تعالى، وأن يكون عمله في جهاده موافقاً للشرع، وكذا جميع الجند والمجاهدين معه. وأوصاه بجنوده خيراً، وهذا الخير شامل لجميع أنواع الرعاية، فلا يشق عليهم، ويجنبهم موارد الهلاك، ثم أوصى النبي ﷺ الجيش بأن يبدؤوا معاركهم بسم الله، وفي سبيل الله، وفي هذا بيان

(١) انظر «شرح النووي على مسلم» ٦/١٦٩.

لخلوص النية في القتال وسلامة الغاية، وأن القتال في الإسلام إنما يبتغى فيه وجه الله وإعلاء كلمته، لذا جاء في الحديث الآخر: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(١).

ثانيا: عدم الغلول

ومن تقوى الله عدم الغلول في الغنيمة، فمنهاهم عنه، وهو الأخذ من الغنيمة قبل أن تقسم، والأصل في الغنائم أن تُردَّ إلى أمير الجيش، فيقسمها بين الجند حسب ما ورد في الكتاب والسنة، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من صحابته، فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مروا على رجل، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «كلا، إني رأيته في النار في بُرْدَةٍ غُلِّها، أو عَبَاءَةٍ»^(٢).

ثالثا: عدم الغدر

ونهاهم كذلك عن الغدر: وهو ترك الوفاء بالعهد، وقد يحصل أن تكون هناك معاهدات بين جيش المسلمين وجيش أعدائهم، فيحرم على المسلمين حينذاك الغدر بهم، وقد جاء النهي عن الغدر في أكثر من حديث عن النبي ﷺ، منها ما رواه مسلم ١٧٣٨ عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله

(١) أخرجه البخاري ١٢٣ ومسلم ١٩٠٤ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم برقم ١١٤ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ﷺ: «لكل غادرٍ لواءٌ يومَ القيامة، يُرفع له بقدرِ غدرِهِ، ألا ولا غادرٍ أعظم غدرًا من أميرٍ عامّة». قال النووي: «قال أهل اللغة: اللواء الراية العظيمة، لا يُمسكها إلا صاحبُ جيش الحرب، أو صاحبُ دعوة الجيش، ويكون الناس تبعاً له، قالوا: فمعنى لكلٍ غادرٍ لواءٌ، أي: علامة يُشهر بها في الناس»^(١).

رابعاً: عدم المثلة

ونهاهم أيضاً عن المثلة، وهي تشويه قتلى الأعداء، وقد كان ذلك معروفاً عند العرب يمثلون بجثث القتلى من أعدائهم، فيجدعون أنوفهم، ويفقؤون عيونهم، ويقطعون آذانهم وأرجلهم وأيديهم، ويبقرون بطونهم. وكل ذلك مما حرمه الإسلام، فجعل احترام موتى الأعداء من سنن الحرب وقوانينها.

خامساً: عدم قتل الأطفال والنساء والشيوخ

ومما نهى النبي ﷺ عنه في هذا الحديث أيضاً قتل الأطفال، وهذا من رحمة الإسلام بالضعفاء، ورفقه ورأفته. وقد جاء في غير هذا الحديث النهي عن قتل النساء أيضاً، فعن عبد الله بن عمر، رضي الله عنه: «أن امرأةً وُجِدَتْ في بعضٍ مغَازي النبي ﷺ مقتولةً، فأنكرَ رسولُ الله ﷺ قتلَ النساءِ والصِّبيانِ»^(٢).

من انتهاكات اليهود لحقوق الإنسان في فلسطين

لكننا في هذا العصر عصر الحريات وحقوق الإنسان، وجدنا من يقتل النساء والأطفال والشيوخ من المدنيين، ويلقون على رؤوسهم أطناً من

(١) «شرح النووي على مسلم» ٤٣/١٢.

(٢) رواه البخاري ٣٠١٤، ومسلم ١٧٤٤.

القنابل، فيهدمون البيوت على رؤوسهم، لا يراعون في ذلك إلا ولا ذمة. من هيروشيما ونكازاكي إلى فيتنام، ثم أفغانستان، والعراق، وسوريا، وغزة، وغيرها من البلاد. كل ذلك مما لا يدّ للمسلمين فيه، ثم يُتهم المسلمون بالإرهاب، وهم أنفسهم يعلمون من هو الإرهابي، ومن هو الذي ينتهك حقوق الإنسان، ويقترف جرائم حرب ضد الإنسانية.

ففي حرب اليهود^(١) ضد غزة عام ٢٠٠٨ وبحسب مؤسسة «توثيق» (حكومية) فقد هدم اليهود في تلك الحرب أكثر من (٤١٠٠) مسكن بشكل كلي، و(١٧٠٠٠) بشكل جزئي. وبحسب إحصاءات لجنة توثيق الحقائق التابعة للحكومة الفلسطينية والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (حكومي)؛ فقد أدت عملية «الرصاص المصبوب»، إلى مقتل أكثر من ١٤٣٦ فلسطينياً بينهم نحو ٤١٠ أطفال، و١٠٤ نساء، ونحو ١٠٠ مسن، وإصابة أكثر من ٥٤٠٠ آخرين نصفهم من الأطفال.

وفي حربهم ضد غزة عام ٢٠١٢ أسفرت عن مقتل ١٦٢ فلسطينياً بينهم ٤٢ طفلاً و١١ امرأة، وإصابة نحو ١٣٠٠ آخرين بحسب وزارة الصحة الفلسطينية. وهدم اليهود ٢٠٠ منزل بشكل كامل، خلال هذه العملية، ودمروا ١٥٠٠ منزل بشكل جزئي، إضافة إلى تضرر عشرات المساجد وعدد من المقابر والمدارس والجامعات والمباني والمؤسسات والمكاتب الصحفية.

(١) انظر الرابط: الدول-العربية/٣-حروب-إسرائيلية-على-غزة-انفوجرافيك-
شق/٧١٦١٣١/ar/aa.com.tr/https://

أما حربهم الثالثة ضد غزة عام ٢٠١٤ وعلى مدار ٥١ يوماً تعرض قطاع غزة، الذي يُعرف بأنه أكثر المناطق كثافة للسكان في العالم، (٩, ١ مليون فلسطيني) لعدوان عسكري يهودي جوي وبري، تسبب بمقتل ٢٣٢٢ فلسطينياً، بينهم ٥٧٨ طفلاً (أعمارهم من شهر إلى ١٦ عاماً)، و٤٨٩ امرأة (أعمارهن من ٢٠-٤٠)، و١٠٢ مسناً (أعمارهم من ٥٠-٨٠)، بحسب وزارة الصحة الفلسطينية. وجرح نحو ١١ ألفاً آخرون (١٠٨٧٠)، وفقاً لإحصائيات صادرة عن وزارة الصحة الفلسطينية. وارتكب اليهود مجازر بحق ١٤٤ عائلة، قُتل من كل عائلة ثلاثة أفراد أو أكثر، بحسب التقرير.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- الأمر بتقوى الله عز وجل في القتال.
- ٢- تحريم الغدر، والغلول، وقتل الأطفال، والمثلة.
- ٣- استحباب وصية الإمام أمراءه وجيوشه بتقوى الله تعالى، وما يحل لهم، وما يحرم عليهم في الحرب.
- ٤- مظاهر الرأفة والرحمة في الإسلام تتجلى في الحرب كما تتجلى في السلم.
- ٥- الحديث يوجه الدعاة إلى أن يكونوا على منزلة عالية من تقوى الله تعالى في دعوتهم وسائر أعمالهم، وأن يكونوا أيضاً على منزلة عالية من الرحمة والرفق بالناس في دعوتهم إياهم وتعاملهم معهم. وأن يرشدوا الناس إلى تقوى الله تعالى في جميع أعمالهم. ويرشدوهم أيضاً إلى آداب الحرب وأخلاقها. وأن يبرزوا محاسن الإسلام في ذلك.

من أخلاق النبوة في معاملة الأسرى

٢٣. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجلٍ من بني حنيفة يُقال له: ثمامة بن أثالٍ، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي خيرٌ يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكِرٍ، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت. حتى كان الغد، ثم قال له: «ما عندك يا ثمامة؟» قال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكِرٍ. فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلت لك. فقال: «أطلقوا ثمامة». فانطلق إلى نخلٍ قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد

العُمرة، فماذا ترى؟ فبَشَّرَه رسولُ الله ﷺ، وأمرَه أَنْ يَعْتَمِرَ، فلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قال له قائلٌ: صَبَوْتَ؟! قال: لا، ولكنْ أَسَلَمْتُ معَ مُحَمَّدٍ رسولِ الله ﷺ، ولا والله لا يَأْتِيكُم منَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فيها النبيُّ ﷺ. رواه البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

ثُمَامَةُ بْنُ أَثَال: هو ابن النعمان بن مسلمة الحنفي. أبو أمانة اليمامي. سيد أهل اليمامة، أسره رسولُ الله ﷺ ثم أطلقه، فأسلم وحسن إسلامه، وكان يقوم في قومه يدعوهم إلى اتباع النبي محمد ﷺ، وينهاهم عن اتباع مسيلمة الكذاب، ولم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة، ولا خرج من الطاعة قط ﷺ^(١).

معاني الغريب

صبوت: يقال: صبا فلان: إذا خرج من دينٍ إلى دينٍ غيره.
الحنطه: القمح.

المعنى الإجمالي للحديث

رأفة النبي ﷺ ورحمته بالأسرى

أظهر هذا الحديث صورةً من رأفة النبي ﷺ ورحمته في معاملة الأسرى، فقد وقع ثُمَامَةُ بْنُ أَثَال، وهو زعيم من زعماء المشركين، وصنديدٌ من

(١) انظر «أسد الغابة» ١/ ٤٧٧، و«الإصابة في تمييز الصحابة» ١/ ٥٢٥.

صناديدهم، في يد أصحاب النبي ﷺ، فجاءوا به إلى المدينة، ومثله يُعدُّ صيداً ثميناً يمكن أن يشتفي بقتله المسلمون الذين ذاقوا من الكفار ويلات القتل والأسر والتجويع والحرمان، مما يُثير الرغبة في الانتقام، وهذا ما أشار إليه ثُمَامَةُ حينما قال: إن تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دم، ففي هذه العبارة أحد معنيين:

- إما أن يكون بمعنى إن تقتلني، فإنك تقتل رجلاً عظيماً في قومه، شريفاً من أشرافهم، يَشْتَفِي قَاتِلُهُ بقتله.

- وإما أن يكون المعنى إن تقتلني تقتل رجلاً سفك الدماء، فهو يستحق أن يُسْفَكَ دُمُهُ.

ولكن النبي ﷺ بحكمته العظيمة وأخلاقه الكريمة، سلك مع ثُمَامَةَ مسلك الهادي إلى سواء السبيل، فكان من تعامله معه أن ربطه إلى سارية من سواري المسجد، فاختار له أن يكون تلميذاً في مدرسة النبوة، يُشَاهِدُ أَحْوَالَ النبي ﷺ، وأحوال أصحابه، وأحوال الوفدين عليه، كما يشاهد الصلوات، فكان هذا المكان مكان تربيةٍ كاملة في كل ساعة من ساعاته، يتلقى علماً وهُدًى وتربيةً ربانيةً.

وكان من تعامل النبي ﷺ معه أيضاً أن يأتيه في كل يوم فيسأله عن حاله، مما يُشْعِرُ بالاهتمام به من النبي ﷺ على وجه الخصوص. وفيه تفقُّدُ أحوال الأسير، وما يحتاج إليه.

ثم كان يلقي معاملةً كريمةً في طعامه وشرابه، فكان يُجمع له ما كان في بيوت النبي ﷺ من طعام ولبن، ومع هذا لم يكن يشبعه ذلك، فلما أسلم جاؤوه بالطعام المعهود، فلم يُصب منه إلا قليلاً. فتعجبوا فقال النبي ﷺ: «إِنَّ الْكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ، وَإِنِ الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعَى وَاحِدٍ»^(١).

وأخيراً: عندما اطمأنَّ النبي ﷺ إلى تلقي ثَمَامَةَ هذه الدروس التي شاهدها وسمعتها وعاشها، أمر بإطلاق سراحه قبل أن يستفصل عن إسلامه، فقال: «أَطْلِقُوا ثَمَامَةَ».

أثر معاملة النبي ﷺ لثَمَامَةَ

أولاً: فَتَحَ ثَمَامَةُ بَعْضَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي شَاهَدَهَا فِي أَسْرِهِ، حَيْثُ أدرك أن من يريد الإسلام عليه أن يغتسل غُسل الإسلام، فاغتسل ثم أقبل على النبي ﷺ، فأعلن إسلامه.

ثانياً: التغير في مشاعر البغض والحب عنده، والانقلاب في عواطفه، الذي جاء ثمرة هذا التعايش في كنف النبي ﷺ وأصحابه. حيث تحول بغضه للنبي ﷺ ودينه وبلده إلى محبة بالغة.

ثالثاً: تلك القوة في الولاء لله ورسوله والمؤمنين، حيث انطلق إلى مكة معتمراً، فأعلن إسلامه وولاءه لهذا الدين متحدياً قريشاً في عُقر دارها، ثم يتهددهم بأن سيمنع عنهم الميرة إلا أن يأذن فيها رسول الله ﷺ.

(١) رواه ابن إسحاق، انظر «فتح الباري» ١٢/٦٦٢.

من حقوق الأسرى في الإسلام

وكان من مبادئ الإسلام الإحسان إلى الأسرى، بإيوائهم وإطعامهم وكسوتهم، والرفق بهم ورحمتهم، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا * ﴿[الإنسان: ٨ و ٩].

ثم مصيرهم إما العفو عنهم، وإما الفداء، قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فِئَامًا مِّنَّا بَعْدَ وَمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

انتهاكات اليهود لحقوق الأسرى الفلسطينيين

هذا هدي النبي ﷺ في التعامل مع الأسرى، وكان المسلمون على مدار الزمان يحافظون على حقوق الأسرى ويتخلقون بأخلاق الإسلام في معاملة الأسرى، ولكننا نجد في هذه الأيام سلوكاً سيئاً مع الأسرى، فليس للأسير حق عند آسريه، بل يتعرض للتعذيب والإهانة والإذلال، وحرمانه من أدنى حقوق الإنسان، كتلك المعاملة في سجن غوانتانامو، وسجن أبي غريب، وغيرها من سجون العرب والمسلمين.

وفي سجون الاحتلال الإسرائيلي، تمارس أبشع صور الإساءة والإهانة والتعذيب للأسرى الفلسطينيين^(١):

(١) بتصرف من موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ملخص لكتاب «معاناة الأسير الفلسطيني في سجون الاحتلال» لـ «فراس أبو هلال» على الرابط: <https://www.alzaytouna.net/2012/05/17> /ملخص-كتاب-معاناة-الأسير-الفلسطيني-في-سجون الاحتلال.

فقد أشار التقرير الإحصائي، الذي أصدرته وزارة شؤون الأسرى والمحررين الفلسطينية في نيسان/ أبريل ٢٠٠٨، إلى أن قوات الاحتلال قد أسرت منذ سنة ١٩٦٧ وحتى نيسان/ أبريل ٢٠٠٨، حوالي ٧٥٠ ألف مواطن فلسطيني.

وقد بلغ عدد الأسرى في سجون الاحتلال في نهاية سنة ٢٠١١ نحو ٣,٣١٥، ٤ أسيراً، بينهم ٦ أسيرات و١٣٢ طفلاً. ومن بين الأسرى ٣,٨٥٦ أسيراً من الضفة الغربية، ١٩٨ منهم من شرقي القدس، و٤٥٩ أسيراً من قطاع غزة، موزعين على أكثر من ٢٠ سجوناً ومعتقلاً ومركز توقيف؛ أبرزها: نفحة، وريمون، وبئر السبع، وإيشل، وعسقلان، وهداريم، وشطة، والرملة، وجليبوع، وهشارون، والنقب، ومجدو، وعوفر. وزاد عدد الأسرى الإداريين الذين تحتجزهم "إسرائيل" دون تهم محددة أو محاكمة إلى ٣٠٧ أسيراً في نهاية ٢٠١١، بعد أن كان عددهم ٢١٩ في نهاية ٢٠١٠.

ولا يقتصر الأسرى الفلسطينيون على المقاومين أو الرجال، ففيهم النساء والأطفال والمرضى، وفيهم النواب والوزراء، وفيهم العمال والطلاب والطالبات والأمهات وربات المنازل.

إن سياسة الاعتقال التعسفي هذه، تجعل من أي صفقة إطلاق سراح أسرى مجرد صفقة شكلية. حيث إن الحقيقة الجلية والمؤلمة، هي أن "إسرائيل" مهما أفرجت عن أسرى، فإنها ما تزال باحتلالها الظالم متحكمة في أراضي الفلسطينيين ومتسلطة عليهم، ولا يردعها حق أو عرف أو خلق أو قانون عن أن تقوم باعتقال المئات والآلاف من الفلسطينيين، في أي

لحظة، من منازلهم أو من مكاتبهم أو حتى وهم في طريقهم إلى المدارس أو الجامعات، متى شاءت، وأن تغيبهم في سجونها القاسية أياماً وشهوراً وسنيناً دون أن تتعرض لمساءلة دولية ولا تفتيش ولا حتى انتقاد. أما عندما تأسر المقاومة الفلسطينية جندياً إسرائيلياً خلال تواجده في مناطق محتلة (وهو حق قانوني وشرعي)، يضجّ العالم بالانتقادات والاستنكارات والمطالبات العاجلة بإطلاق سراحه!.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن إسرائيل قد بلغت في سوء معاملة الأسرى مبلغاً عظيماً، سواء من حيث ظروف الاعتقال التعسفية دون إنذار مسبق، ودون إبداء أسباب واضحة للاعتقال، وتصاحبها في معظم الأحيان عمليات مdahمة واقتحامات للبيوت، وتفتيشات عارية، يتم فيها أيضاً الضغط على المعتقلين عبر أفراد أسرهم من زوجات وأطفال. وتتم هذه العمليات بمعظمها في منتصف الليل أو قبيل الفجر، بحيث يكون هدفها إلى جانب الاعتقال، ترويع المزيد من الفلسطينيين الأمنيين في منازلهم وأحيائهم.

أو من حيث محاكمة المعتقل: حيث يتعرض للتعذيب الشديد في أقبية التحقيق، وتوجه له العديد من التهم في لائحة تعدّها المخابرات الإسرائيلية، فإن لم يعترف يتم إبلاغه بالاعتقال الإداري، وإلا يتم تخييره بين الاعتراف ببعضها وقضاء محكومية أقل، أو يتم إقرارها كلها بالمحكمة، ويحكم على هذا الأساس. كما يُخَيَّرُ البعض بين الإبعاد إلى خارج الأراضي الفلسطينية، وبين البقاء في السجون الإسرائيلية.

وتبقى هناك دائماً ذريعة «الملف السري» و«الأسباب الأمنية»، التي تستخدمها سلطات الاحتلال متى شاءت؛ لاعتقال من أرادت عبر الاعتقال الإداري، والذي قد يمدد لعدد غير محدود من المرات.

أو من حيث ظروف الأسر: في مراكز يبلغ عددها ٢٠ مركزاً تفتقد في معظمها، إن لم يكن كلها، للشروط الإنسانية اللازمة لكي تكون مكاناً ملائماً للاحتجاز، وهي لا تتوافق مع المعايير الدولية الموضوعة بخصوص الأسر.

وكذا من حيث الظروف الصحية والإهمال الطبي وسوء الطعام المُقدّم للأسرى، من حيث الكمية والنوعية. والحرمان من النوم، إما بسبب ظروف الزنزانة القاسية أو بسبب التحقيق المتواصل، الذي قد يستمر لأكثر من ٢٠ ساعة متواصلة.

هذا وتتبع إسرائيل وسائل تعذيب مختلفة ضد الأسرى أبرزها: التحرش الجنسي، والتهديد بالاعتصاب. والضرب الشديد بالأيدي والأرجل وأعقاب البنادق. والشبح وتوقيف المعتقلين بأوضاع صعبة، أو إجبارهم على جلوس القرفصاء على رؤوس أصابعهم، والحرمان من النوم لفترات طويلة. وإطفاء السجائر في أجسامهم. وتعريض الأسير للصدمة الكهربائية حتى فقدان الوعي. وتغطية الرأس بغطاء قذر. وغيرها من صور التعذيب البشعة.

أهم ما يرشد إليه الحديث:

- ١- عظمة أخلاق النبي ﷺ في معاملة الأسرى.
- ٢- جواز دخول الكافر إلى المسجد عدا المسجد الحرام.
- ٣- مشروعية الاغتسال عند الدخول في الإسلام.
- ٤- الإسلام يعمل على تهذيب الإنسان سلوكياً ونفسياً.
- ٥- الأسير له من الحقوق ما يجب على الدول مراعاتها وعدم التهاون فيها.
- ٦- الحديث يوجه الدعاة إلى الاقتداء بالنبي ﷺ في حكمته ورحمته ولين جانبه وتأليفه للقلوب، وتغليب مصلحة الإسلام والدعوة على المصالح الشخصية. والعمل على إبراز محاسن الإسلام الأخلاقية والتشريعية.

الجهاد بالمال والإعلام

٢٤. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم». رواه أحمد ١٩ / (١٢٢٤٦)، وأبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٣٠٩٦). وإسناده صحيح.

التعريف بالصحابي راوي الحديث

أنس بن مالك بن النضر الأنصاري أبو حمزة. الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، خادم رسول الله ﷺ، وتلميذه، وتبعه. وكان يقول: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر، ومات وأنا ابن عشرين، وكن أمهاتي يحثنني على خدمة رسول الله ﷺ.

فصحب أنس نبيه ﷺ أتم الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر، وإلى أن مات، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة. وروى عنه علماً جماً. رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة ٩٣ للهجرة^(١).

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٣ / ٣٩٥، و«الأعلام» للزركلي ٢ / ٢٤.

المعنى الإجمالي للحديث

الجهاد بالمال

الجهاد أنواع عديدة يأتي في مقدمتها القتال باستخدام القوة العسكرية، وقد ذكر هذا الحديث أنواعا أخرى من الجهاد لا تقل أهمية عن القتال، ومنها الجهاد بالمال، فقد أمر النبي ﷺ به المؤمنين، فقال: «جاهدوا بأموالكم»، وقد قرن الله تعالى في كتابه العزيز بين الجهاد بالنفس والجهاد بالمال في عشرة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١].

قال الأمين الشنقيطي رحمه الله^(١): «وحقيقة الجهاد بذل الجهد والطاقة، والمال هو عصب الحرب، وهو مدد الجيش، وهو أهم من الجهاد بالسلاح؛ فبالمال يُشترى السلاح، وبالمال يجهز الجيش؛ ولذا لما جاء الإذن بالجهاد أعذر الله المرضى والضعفاء، وأعذر معهم الفقراء الذين لا يستطيعون تجهيز أنفسهم، وأعذر معهم الرسول ﷺ؛ إذ لم يوجد عنده ما يجهزهم به؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ [التوبة: ٩١]، إلى قوله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]. وكذلك من جانب آخر: قد يجاهد بالمال من لا يستطيع بالسلاح كالنساء والضعفاء، كما ورد عن زيد بن خالد رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

(١) «أضواء البيان» ٨/ ١١٣، بتصرف.

«مَنْ جَهَّزَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا».

أجر الجهاد بالمال

وقد ضاعف الله تعالى الأجور للمنفقين في سبيل الله، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٢]

وفي الحديث الشريف الذي رواه مسلم ١٨٩٢ عن أبي مسعود الأنصاري، قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبع مئة ناقة كلها مخطومة» أي: فيها خطامها، أي: زمامها.

والحديث الذي رواه البخاري ٢٧٧٨ عن أبي عبد الرحمن السلمي، أن عثمان رضي الله عنه حين حوَّص أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ، أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر رومة فله الجنة»؟ فحفرتها، أستم تعلمون أنه قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة»؟ فجهزتهم، قال: فصدقوه بما قال.

من صور الجهاد بالمال

فمن صور الجهاد بالمال: الإنفاق على المجاهدين لتوفير السلاح والطعام والشراب، وخلافتهم في أهليهم.

ومن صوره أيضاً تحصيل القوة الاقتصادية، ورفع مستوى المعيشة، وتحقيق الكفاية والوفر، وفتح الأسواق التجارية، كل ذلك من أجل المحافظة على تفوق المسلمين على أعدائهم بقوة اقتصادهم وسلامة سياساتهم النقدية.

فلا بد من التقدم في هذا الميدان، لأن الدول الآن أصبحت تتنافس في دخول الأسواق التجارية وما تمتلكه من أرصدة، كما تتنافس بقوة نقدها حيث إن الاقتصاد أصبح عاملاً حاسماً في المعارك الحديثة وتميز قوة الدول بعضها عن بعض، وقد تنهزم جيوش وتنهار دول بسبب تراجع اقتصادها وإغراقها بالديون.

وبناء عليه فإن الجهاد بالمال قد أخذ مكانه في هذا الزمان أكثر مما كان عليه في أزمنة سابقة. حتى أصبحت البورصات العالمية والأسواق الدولية والعملات المشهورة وسائل استعمار وهيمنة، أو استقلال وتحرر.

ومن صوره أيضاً دعم العلم والعلماء والدعاة، والمؤسسات العلمية كالجوامع والمدارس ومراكز الأبحاث، حيث يعد هذا المجال هو أساس التقدم في سائر مجالات الحياة الاقتصادية والعسكرية والسياسية وغيرها.

ومن صوره مواجهة التنصير المستشري في أرجاء العالم الإسلامي حيث يستغل فقر المسلمين ومرضهم وجهلهم، لتغيير عقائدهم وتشكيكهم بثواب دينهم، وهذا أشد خطراً من احتلال أرضهم ونهب ثرواتهم.

وكذلك مواجهة التشيع الذي يعمل على هدم تاريخ الإسلام، وتقديم الزائف من العقائد والأفكار، ولا سيما النيل من أصحاب رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم.

الجهاد بالنفس

والجهاد بالنفس شقيق الجهاد بالمال، والتضحية فيه أعظم، وصوره كثيرة: أعلاها الموت في سبيل الله، ومنها بذل الجهد وحبس النفس على أعمال الجهاد والرباط في سبيل الله، والقيام بالواجبات الشرعية، وتعليم العلم، وتبليغ الدعوة إلى الله، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ *﴾ [التوبة: ١٢٠ - ١٢١].

الجهاد الإعلامي

هذا ويرشدنا الحديث إلى جانب آخر من جوانب الجهاد وهو الجهاد بالإعلام، وصوره وأشكاله في هذا الزمان كثيرة، فبالإضافة إلى الخطبة، والدرس، والقصيدة، والكتاب، والمقال، والصحيفة، والمجلة، فقد

دخلت على هذا الجانب صناعة الأفلام والمسرحيات، والأفلام الوثائقية، عبر القنوات الفضائية التي تصل إلى الملايين في آن واحد، وكذلك ما أتاحتها وسائل التواصل الاجتماعي من وصول البلاغ إلى أوسع نطاق، هذا بالإضافة إلى الشبكة العنكبوتية (النت). حتى أصبح هناك ما يسمى بالحروب الإلكترونية، والحروب الإعلامية. فصار الإعلام ذا قدرة هائلة في تشكيل عقول الناس وتغيير أفكارهم، ومعتقداتهم، وتوجهاتهم، وأذواقهم.

فلا بد لنا من الحصول على هذه الوسائل، وتحقيق التفوق فيها، واستخدامها في مجال الدعوة إلى الله، ونصرة الإسلام والمسلمين.

صورة واقعية للحديث

وجميع صور الجهاد ومجالاته السابقة حاضرة اليوم على الساحة الإسلامية في شتى بقاع الأرض حيثما وجد استعمار، أو غزو أجنبي لبلد من بلاد المسلمين، وأظهر ما يكون ذلك في فلسطين المباركة، فالجهاد بالمال أشد ما يكون طلباً في معركتنا مع اليهود، ولما كان العدو يبذل في المعركة أموالاً لا حصر لها، كان لازماً على المسلمين أن يمدوا المجاهدين في فلسطين بالأموال اللازمة لنصرتهم وانتصارهم في هذه المعركة. وكذا نصرتهم بالكلمة والموقف السياسي لا تقل أهمية عن الجهاد بالمال، فلا يخفى ما للإعلام من دور في هذه المعركة.

أهم ما يرشد إليه الحديث.

١ - الجهاد بالمال أصل جميع أنواع الجهاد.

-
- ٢- الجهاد باللسان والإعلام، من أهم ميادين الجهاد.
 - ٣- التضحية بالنفس أعظم أبواب الجهاد.
 - ٥- الحديث يوجه الدعاة إلى الجهاد بأنواعه المختلفة، حيث لا يغني نوع عن نوع آخر، بل لا بد من الابتكار والإبداع في أنواع جديدة تواكب العصر وتلبي متطلباته.

فريضة نحقيق البشائر باننصار الإسلام

فريضة تحقيق البشائر بانتصار الإسلام

ملك أمة الإسلام سيبلغ مشارق الأرض ومغاربها

٢٥. عن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَلَكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بَسَنَةٌ عَامَّةٌ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بِيضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بَسَنَةٌ عَامَّةٌ، وَأَنْ لَا أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحَ بِيضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَاقِطَارِهَا - أَوْ قَالَ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا». رواه مسلم (٢٨٩٩).

معاني الغريب

زوى لي الأرض: أي: قبضها وجمعها.

الأحمر والأبيض: أي: الذهب والفضة.

ولا أهلكهم بسنة بعامة: أي: لا أهلكهم بقحط يعمُّهم، بل إن وقع قحط، وقع في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام. قاله النووي.

فيستبيح ييضمهم: بيضة الدار: وسطها ومعظمها، أراد عدواً يستأصلهم ويهلكهم جميعهم، كذا في «النهاية».

الأئمة المضلين: أي: الداعين إلى البدع والفسق والفجور.

المعنى الإجمالي للحديث

انتشار الإسلام في الأرض كلها

في هذا الحديث يبين لنا النبي ﷺ أن الله تعالى جمع له الأرض في قبضة واحدة، وأنه رآها كلها بمشارقتها ومغاربها، ورآها في الحاضر ورآها في المستقبل، وهذه الرؤيا ممتدة في المكان والزمان، ولقد أخبرنا النبي ﷺ أنه رأى أشياء أخرى من عالم الغيب، كرؤيته للجنة والنار في صلاة الخسوف، وهذا ما يجعل الرؤية في هذا الحديث رؤية عينية، وليست رؤيا منامية، وإن كانت الرؤيا المنامية في حق الأنبياء صدقاً، ونوعاً من أنواع الوحي.

وفي هذه المشاهدة دليل على أن الإسلام سيعم الأرض كلها مشارقتها ومغاربها، قال الإمام النووي رحمه الله^(١): فيه إشارة إلى أن مُلك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب، وهكذا وقع، وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب. كذا قال: لكننا

(١) «شرح النووي على مسلم» ١٨ / ١٣

نقول بأن هذا قبل فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ، ووصول الإسلام إلى شمال أوروبا، فقد توفي الإمام النووي سنة ٦٧٦ هـ. ونستفيد من هذا أن فهم الحديث قد يتوقف في بعض الأحيان على الزمان وتغيره، وقد جاء هذا الفهم عند النووي من قصر المشارق والمغارب على الشرق والغرب المعروفين في زمانه، بينما تبين في العصر الحاضر أن الأرض كروية، وأن الشرق والغرب يعلمان الأرض في نصفها الشرقي ونصفها الغربي، وفي هذا الحديث بشارة بأن الخلافة الإسلامية ستعم الكرة الأرضية بإذن الله تعالى.

امتلاك الإسلام للثروات

وفي هذا الحديث أيضاً بشارة بأن هذه الأمة ستمتلك الثروات العظيمة، والأموال الوفيرة، وقد كان، حيث إن الأمة الإسلامية اليوم تمتلك أكبر مخزون من الثروات في باطن الأرض، كالبتروول والمعادن بسائر أنواعها، كما أن فيها من الثروات الظاهرة على سطح الأرض ما لا يمتلكه غيرها. إلى جانب موقعها الاستراتيجي وتنوع مناخاتها وامتداد شطآنها واتساع بحارها. وهي ثروات للأسف لم تعد بالنفع المرجو والمطلوب على أهلها وأصحابها، وإنما تذهب خيراتها إلى جيوب أعدائها، والفاسدين من أبنائها.

وقال بعضهم: بأن الكنز الأحمر والأبيض إشارة إلى ملك بلاد الشام وفارس، وهو اجتهاد ضعيف لا دليل عليه. والصواب أن الكنزين هما الذهب والفضة، وهما إشارة إلى النقيدين المتعارف عليهما عبر التاريخ. وأن الأمة ستمتلك هذين الكنزين.

دعوات النبي ﷺ الثلاث

وفي الحديث أن النبي ﷺ سأل الله تعالى ثلاث دعوات لأُمته: ثنتان صريحتان، وثالثة متضمنة في الثانية: والثلاث دعوات جاءت صريحة في روايات أخرى منها ما صح عند الإمام أحمد ٢٣٧٤٩ عن جابر بن عتيك، أنه قال: جاءنا عبد الله بن عمر، في بني معاوية قرية من قرى الأنصار، فقال لي: هل تدري أين صلى رسول الله ﷺ من مسجدكم هذا؟ فقلت: نعم فأشرت له إلى ناحية منه، فقال: هل تدري ما الثلاث التي دعا بهن فيه؟ فقلت: نعم. قال: فأخبرني بهن، فقلت: «دعا بأن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم، ولا يهلكهم بالسَّنين فأعطيهما، ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم: فمنعنيها» قال: صدقت، فلا يزال الهرجُ إلى يوم القيامة.

الدعوة الأولى

أما الأولى في حديث الباب فهي: أن لا يهلك أُمته بسنة عامة، أي: ألا يأخذها بقحط يعم جميع بلادهم، بل إذا وقع فإنما يقع في بلد أو بلاد معينة دون سائر البلاد، فاستجاب الله دعوته، فكانت هذه الأمة مرحومة في أرزاقها ومعاشها.

الدعوة الثانية

وأما الدعوة الثانية: فهي أن لا يسلط عليها عدواً أجنبياً يستبيح بيضتها، أي: أنه يقضي عليها برمتها، فاستجاب الله تعالى له، فلم يحصل ذلك عبر التاريخ، وإن كان العدو الأجنبي قد احتل بعض أرضها، واستباح دماء بعض

أهلها، إلا أن هذا الاحتلال لم يعم جميع البلاد، كما أنه لا يعمر في أرضها محتل، ولا يلبث أن يندحر، وينهزم شر هزيمة. وما يجري اليوم من احتلال اليهود لأرض فلسطين المباركة، فإنه احتلال عارض، ولا بد أن يأتي اليوم الذي يهزم في هذا العدو، ويطهر الله فيه الأرض المباركة من دنسه ورجسه. ويسألونك متى هو؟ قل عسى أن يكون قريباً.

فكان في استجابة دعاء النبي ﷺ ألا يهلك الأمة بعدو يستبيح بيضتها نعمة من الله تعالى وفضلا. فالأمة مأمونة بالجملة من هذا الجانب.

الدعوة الثالثة

وأما الدعوة الثالثة: فهي أن لا يجعل بأس هذه الأمة فيما بينها، أي ألا يكون بين أبنائها اختلاف يؤدي إلى قتال وفرقة، فلم يستجب الله تعالى لنبيه ﷺ، فكان ما كان من الهرج والفتن التي اشتعلت فيما بين أبناء هذه الأمة في كثير من الأزمنة، والبلاد. ولعل في ذلك حكمة بالغة بأن جعل الله بأس الأمة بينها، ولم يجعله من عدوها، وذلك لتتحمل هي المسؤولية عن الشقاق وسوء الأخلاق وفساد ذات البين، وما ينشأ عن ذلك من قتال وسفك دماء، وفي ذلك دعوة للدعاة والعلماء والمصلحين ليقوموا بواجبهم بالتربية على الأخلاق الحميدة والعفو والصفح والتعاون على البر والتقوى.

وما تعيشه الأمة اليوم من تمزق وتفرق فيما بين أبنائها، حتى أصبحت أمما، كل أمة بحدودها معجبة، فلا يجمعهم إلا الاختلاف، وفي كثير من الأحيان يجمعهم الاقتتال، وهذا من أعظم أسباب ضعفها وذهاب ريحها. وفي هذا الحديث دعوة للأمة أن تعمل على توحيد صفوفها، وجمع كلمتها،

وتجنب أسباب تفرقها وتشرذمها، حتى ترجع إلى سابق عهدها، أمة واحدة قوية مرهوبة الجانب، تأخذ مكانها ومكانتها بين الأمم، وتؤدي رسالتها إلى العالم أجمع في الدعوة إلى الله وصناعة الحضارة، وإقامة الحياة على وفق ما يحبه الله ويرضاه. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وقال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- بشارة النبي ﷺ للأمة بأن هذا الدين سيعم الأرض كلها مشارقها ومغاربها.
- ٢- البشارة بأن الخلافة الإسلامية ستعم جميع البلاد.
- ٣- البشارة بأن هذه الأمة ستمتلك من خزائن الثروات الظاهرة والباطنة.
- ٤- فيه أن هذه الأمة مرحومة بأن لا تؤخذ بقحط يعم بلادها.
- ٥- فيه أن هذه الأمة محفوظة فلا يجتاحها عدو من خارجها يهلكها جميعا.
- ٦- فيه أن هذه الأمة معرضة للخلافات الداخلية والفتن والقتال فيما بينها.
- ٧- فيه الدعوة إلى توحيد الأمة ومعالجة فساد ذات البين فيها. وهذا واجب العلماء والدعاة والمصلحين.

عِزَّةُ الإسلام وذِلَّةُ الكفر

٢٦. عن تميم الداري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدبر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر». وكان تميم الداري، يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والحزبة. رواه أحمد ٢٨ / (١٦٩٥٧). وإسناده صحيح.

التعريف بالصحابي راوي الحديث

تميم الداري أبو رقية بن أوس بن خارجة اللخمي، الفلسطيني. وقد على النبي ﷺ سنة تسع، فأسلم، وكان عابداً، تلاء لكتاب الله. لم يزل بالمدينة حتى تحوّل بعد قتل عثمان إلى الشام.

لما أسلم تميم، قال: يا رسول الله! إن الله مظهرك على الأرض كلها، فهب لي قريتي من بيت لحم. قال: «هي لك». وكتب له بها. قال: فجاء تميم بالكتاب إلى عمر، فقال: أنا شاهد ذلك، فأمضاه. وهي في أيدي أهله إلى اليوم. أعطاه خبري وهي الخليل، وبيت عينون. وهذا علم من أعلام النبوة

إذ أقطعه النبي هذه البلاد ولم تكن يومها في سلطان المسلمين . ومات تميم الداري سنة أربعين للهجرة^(١) .

معاني الغريب

هذا الأمر : الإسلام .

المدر : الطين ، والمقصود البيوت المبنية .

الوبر : الخيام . مساكن البدو .

المعنى الإجمالي للحديث

دخول الإسلام كل بيت على وجه الأرض

يُشير النبي ﷺ المسلمين بأن الإسلام سيعم الأرض كلها ما بلغ الليل والنهار وهو بمعنى الحديث الآخر : «زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها» ، وسيدخل الإسلام البيوت كلها في المدن والقرى والبادي، سلماً أو حرباً، ودخوله إليها كناية عن إسلام أهلها، ونحن اليوم نشهد شعوباً بأكملها دخلت في الإسلام، ونشهد وصول رسالة الإسلام إلى جميع أصقاع الأرض لكنها لم تسلم كلها، وفي هذا الحديث بشارة للمسلمين بأن هذه الشعوب لا بد وأن تستجيب يوماً للإسلام. وهذا إن دل فإنما يدل على عالمية الإسلام، وأن مستقبل البشرية وصلاحها فيه، بإذن الله تعالى .

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٤٤٢ .

الإسلام يعز أهلك

وفي الحديث أن الإسلام يعز أهله ويشرفهم ويرفع من شأنهم. طالما أن المسلمين يأخذون بالإسلام وبعزة الإسلام، وبالأسباب التي أوردتها الإسلام في العزة والكرامة والشرف. أما وإن المسلمين يعيشون اليوم في تمزق وتخاذل فأنى لهم العزة والكرامة؟

ومع هذا نقول: إننا موعودون بإذن الله تعالى بهذه العزة والكرامة، ولا بد لهذه الأمة أن تصحو من غفلتها، وتنفض غبار الذل والمهانة عن كاهلها، وتأخذ بأسباب الرفعة والشرف. ويسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريباً.

ومع استعراض أحداث التاريخ يتبين أن هذه الأمة مهما أصابها من لأواء وكبوات فإنها سرعان ما تستيقظ من كبوتها، كما حصل لها أيام الغزو الصليبي، والغزو المغولي. وأما ما يحصل لها في هذه الأيام، فلا بد وأن تستيقظ من كبوتها بعز عزيز أو بذل ذليل.

وما نراه في هذه الأيام في غزة من جهاد عزيز، ومواقف بطولية وطلب للشهادة، على صغر مساحتها وقلة مواردها وضعف سلاحها، وتكالب الأعداء عليها من كل جانب، إلا إنها تسجل في كل يوم صفحات من العزة والكرامة والمجد، وإذا أرادت الأمة أن تصحو من كبوتها وتملك زمام أمرها فما عليها إلا أن تتخذ من هذه البطولات مثلاً أعلى لها، تسير على نهجها.

هذا وقد سجل تميم الداري رضي الله عنه شهادته على بعض ما جاء في هذه البشارة، إذ شاهد العزة والكرامة سابغة على من أسلم من أهله، وشاهد الذلة والصغار يصيب من كفر منهم.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- في هذا الحديث بشارة بانتشار الإسلام في شتى بقاع الأرض مدنها وقراها وبواديها.
- ٢- أنه بالرغم من كل المكائد والعقبات فإن الإسلام سينتصر.
- ٣- أنه مهما أصاب المسلمين من مصائب وضعف فإن الإسلام يعز أهلهم وينتصر لهم ويرفع من شأنهم.
- ٤- يوجه هذا الحديث العلماء والدعاة إلى الأخذ بأسباب العزة والكرامة، وأن يعملوا على بث روح الأمل ونشر البشائر بانتصار الإسلام، بالرغم مما يكاد له، ويتآمر عليه. وأن يكونوا جنوداً في سبيل تحقيق هذه البشائر.

البشارة بانتشار الأمن في بلاد المسلمين

٢٧. عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، عن عدي بن حاتم، قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل، فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل، فقال: «يا عدي، هل رأيت الحيرة؟» قلت: لم أرها، وقد أنبت عنها. قال: «فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلا الله» قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَار طيِّب الذين قد سَعَرُوا البلاد؟! «ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى» قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه. قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لتروُن ما قال النبي أبو القاسم ﷺ: «يُخرج ملء كفه». رواه البخاري (٣٥٩٥).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي أبو طريف. ابن حاتم الطائي الجواد المشهور. أسلم سنة تسع. وقيل سنة عشر، وكان نصرانياً قبل ذلك، وثبت على إسلامه في الردة، وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر، وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة. وكان أحد من قطع بركة السماوة مع خالد بن الوليد إلى الشام، وقد وجهه خالد بالغنائم إلى الصديق، نزل الكوفة مدة، ثم قرقيسيا - بلد بين الخابور والفرات - من الجزيرة. مات بعد الستين وقد أسن. بلغ عشرين ومئة سنة^(١).

معاني الغريب

قال ابن حجر: الطَّعِينَةُ: المرأة في الهَوْدَج.

الحيرة: كانت بَلَدَ ملوك العرب الذين تحت حُكْم آل فارس، وكان مَلِكُهُمْ يومئذٍ إِيَّاس بن قَبِيصَةَ الطَّائِي وَلِيَّهَا من تحت يد كسرى بعد قتل النُّعْمَان بن المنذر، ولهذا قال عدي بن حاتم: فأين دُعَار طَيِّئ؟

فأين دُعَار طَيِّئ: الدُّعَار، جمع دَاعِر: المراد قُطَاع الطَّرِيق. وطَيِّئ قبيلة مشهورة، منها عدي بن حاتم المذكور، وبلادهم ما بين العراق والحجاز، وكانوا يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ على مَنْ مرَّ عليهم بغير جِوَار، ولذلك تَعَجَّبَ عَدِيَّ كيف تَمَرَّ المرأة عليهم وهي غير خائفة.

(١) انظر «الإصابة في تمييز الصحابة» ٤/ ٣٨٨.

قد سَعَرُوا البلاد: أي: أوقدوا نار الفتنة، أي: مَلَأُوا الأرضَ شَرًّا وفساداً.
 كَسَرَى: وهو عَلِمَ على مَنْ مَلَكَ الفُرسَ، لكن كانت المقالة في زمن
 كِسرى بن هُرْمُز، ولذلك اسْتَفْهَمَ عدي بن حاتم عنه، وإِنَّمَا قال ذلك لِعَظْمَةِ
 كِسرى في نفسه إِذ ذاك.
 الظعينة: المرأة في اليهودج، وهو في الأصل اسم لليهودج.

المعنى الإجمالي للحديث

بشائر التمكين والأمن للمسلمين

جاء عدي بن حاتم إلى النبي ﷺ في عام الوفود في السنة التاسعة من
 الهجرة بعد أن أسلمت أخته سفانة، وكان فارًّا من وجه رسول الله ﷺ، ولكن
 رسول الله ﷺ أمر أخته أن تدعوه إليه، ففعلت، فلما قدم على النبي ﷺ
 استبشر به خيراً، ووافق مجيئه أن بعض الناس من حول النبي ﷺ كانوا
 يشكون الفاقة، وآخرون يشكون قطع السبيل، فوقع في نفس عدي ضعف
 هذا الدين الذي لا يطعم من جوع، ولا يؤمن من خوف، ولا بد أن يكون مثل
 عدي في شرف أصله ومكانته في قومه أن يلفت نظره هذه المعاني، التي قد
 تقف عائقاً أمام إسلامه، في أول لحظات اتصاله بهذا الدين، فأدرك النبي ﷺ
 بفراسته وعلمه وحكمته ما وقع في نفس عدي، فالتفت إليه فأخذه بيده إلى
 بيته، ومعروف أن بيت النبي ﷺ ليس فيه أثاث، ولا ريش، فزاد الأمر
 صعوبة على عدي، فأقبل عليه النبي ﷺ ليخرج ما في نفسه من الشكوك
 والريب، وليزرع فيها الأمل والبشارة بانتصار الإسلام، وامتلاك الغنى

والمال الوفير، والأمن في المعيشة، والسلامة من الخوف، فسأله عن الحيرة التي هي عاصمة المناذرة وحاضرة طيء ومملكتهم، وفيها ما فيها من رغد العيش لأهلها خاصة، لكن الناس لا يأمنون على أنفسهم ولا أموالهم إن عبروا إليها أو منها إلا تحت حمايتها، فأراد النبي ﷺ أن يقول لعدي: بالرغم من كل هذا فإن الإسلام سيملك ما تحت أقدام طيء، وسيأمن الناس على أنفسهم وأموالهم من غير حماية من أحد، فحماية الإسلام أبلغ وأعم وأقوى، حتى إن المرأة لتسافر وحدها من غير حماية من تلك البلاد إلى مكة حاجّة إلى البيت الحرام، وهي آمنة مطمئنة على نفسها ومالها، فوقع في نفس عدي من الريب في هذا الوعد ما وقع، لما يعلمه من قطاع الطريق من قبيلته قبيلة طيء، التي كان نفوذها بين العراق والحجاز.

ومما زاد الشك في نفس عدي أن بشره النبي ﷺ بأبعد من ذلك، وهو فتح بلاد فارس، ومآل دولتها وأموالها إلى المسلمين، لذلك كرر السؤال على النبي ﷺ عدة مرات عن كسرى بن هرمز، هل هو المقصود بعينه أم ملك آخر. وفي كل مرة يؤكد له النبي ﷺ بأنه هو كسرى بن هرمز.

ثم ذهب النبي ﷺ إلى أمر آخر، وهو الغنى الذي سيعم بلاد المسلمين، حتى إن الرجل الغني ليبحث عن فقير ليعطيه زكاته فلا يجد.

تحقق بشارتين في زمن عدي

أما عدي فلم يطل به زمان حتى رأى بنفسه بشارتين من هذه البشائر، وكان ينتظر الثالثة، موقناً بوقوعها. فرأى المرأة ترتحل وحدها من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف إلا الله. وكان ﷺ في جيش سعد بن أبي

وقاص، الذي فتح فارس وغنم كنوز كسرى بن هرمز. وكان عليه السلام يبشر الناس، فيقول لهم: لئن طالت بكم حياة، لترون ما قال النبي ﷺ.

تحقق البشارة الثالثة في زمن عمر بن عبد العزيز

وقد كان ما بشر به النبي ﷺ بتمامه، ففي عهد عمر بن عبد العزيز، كان الرجل يبحث عمن يقبل صدقته وزكاة ماله، فلا يجد، مما أغنى الله به المسلمين والحمد لله رب العالمين.

فتح باب الأمل لأمة الإسلام

ومما لا شك فيه أن ما يصيب المسلمين من ضعف وهوان في هذه الأيام لا بد وأن يأتي اليوم الذي يفرج الله به على عباده المؤمنين، بالفتح والنصر والتمكين، وسعة العيش، والأمن على الأنفس والأموال. ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. لكن ذلك لا يكون إلا بأسبابه المعنوية من صحيح الإيمان والتمسك بما أنزل الله، وأسبابه المادية من امتلاك القوة اللازمة للنصر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

أهم ما يرشد إليه الحديث

١- في هذا الحديث بشارة أن الإسلام سيفتح بلاد الفرس والروم، وقد كان.

- ٢- في هذا الحديث أن بلاد المسلمين ستنعم بالأمن والسلام والاطمئنان. وقد كان
- ٣- في هذا الحديث أن بلاد المسلمين ستنعم بسعة الرزق والعيش الكريم. وقد كان.
- ٤- يرشد هذا الحديث إلى حسن التعامل مع كبار القوم وأشرافهم.
- ٥- يرشد هذا الحديث إلى استشراف المستقبل، والتخطيط له، والعمل على تحقيق التمكين للإسلام في حياة الناس.
- ٦- يرشد هذا الحديث الدعاة والعلماء والمصلحين إلى معالجة الشكوك والشبهات التي تعتمل في نفوس الناس، بأحسن الأساليب وأقصر الطرق المبنية على الأصول العلمية والحقائق التاريخية والجغرافية، وبث روح الأمل والتفاؤل في نفوس الناس.

البشارة بقيام دولة الإسلام

٢٨. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «تَدُورُ رَحَى الإسلامِ لخمسةٍ وثلاثين، أو ستٍّ وثلاثين، أو سبعٍ وثلاثين، فإن يَهْلِكُوا فسيبيلُ من هلكَ، وإن يَقمَ لهم دينُهُم يَقمَ لهم سبعينَ عاماً» قال: قلتُ: أَمِمَّا بَقِيَّ، أو مِمَّا مَضَى؟ قال: «مِمَّا مَضَى». رواه أبو داود (٤٢٥٤)، وهو حديث صحيح.

معنى الغريب

رحى الإسلام: قيام دولة الإسلام.

التعريف بالصحابي راوي الحديث

عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن. من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً، وقرباً من رسول الله ﷺ، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادماً رسول الله الأمين، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، يدخل عليه كل وقت ويمشي معه. نظر إليه عمر يوماً وقال: وعاء ملئ علماً. وولي بعد وفاة النبي ﷺ بيت مال الكوفة. ثم قدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفي فيها سنة ٣٢ للهجرة عن نحو ستين عاماً^(١).

(١) انظر «الأعلام» للزركلي ١٣٧/٤.

المعنى الإجمالي للحديث

مدة دولة الإسلام الأولى

تدور رحا الإسلام: قال ابن الأثير في «النهاية»: المعنى أن الإسلام يمتد قيام أمره على سنن الاستقامة والبعد من إحداثات الظلمة إلى تَقْضِي هذه المدة التي هي بضع وثلاثون.

قال العظيم آبادي^(١): «اعلم أن العلماء اختلفوا في بيان معنى دوران رحى الإسلام على قولين: الأول: أن المراد منه استقامة أمر الدين واستمراره، وهذا قول الأكثرين، والثاني: أن المراد منه: الحرب والقتال، وهذا قول الإمامين الخطابي والبغوي، قال العلامة الأردبيلي في «الأزهار» و«شرح المصابيح»: قال الأكثرون: المراد بدوران رحى الإسلام: استمرار أمر النبوة والخلافة، واستقامة أمر الولاية، وإقامة الحدود والأحكام، من غير فتور ولا فطور إلى سنة خمس وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين من الهجرة، بدليل قوله في آخر الحديث: «مما مضى»، وقال الخطابي في «المعالم» والشيخ في «شرح السنة»: المراد بدوران رحى الإسلام: الحرب والقتال، وشبهها بالرحى الدوارة بالحب، لما فيها من تلف الأرواح والأشباح، انتهى. فإن قلت: إرادة الحرب من دوران رحى الإسلام أظهر وأوضح من إرادة استقامة أمر الدين واستمراره؛ لأن العرب يكتنون عن الحرب بدوران الرحي، قال الشاعر:

(١) في «عون المعبود» ١١ / ٢٢٠.

فدارت رحانا واستدارت رحاهم

فكيف اختار الأكثرون الأول دون الثاني؟ قلت: لا شك أن العرب يكونون عن الحرب بدوران الرحي، لكن إذا كان في الكلام ذكر الحرب صراحةً، أو إشارة، وليس في الحديث ذكر الحرب أصلاً. قال التوربشتي رحمه الله: إنهم يكونون عن اشتداد الحرب بدوران الرحي، ويقولون: دارت رحي الحرب، أي: استتب أمرها، ولم تجدهم استعملوا دوران الرحي في أمر الحرب من غير جريان ذكرها، أو الإشارة إليها، وفي هذا الحديث لم يذكر الحرب، وإنما قال: رحي الإسلام، فالأشبه أنه أراد بذلك: أن الإسلام يستتب أمره، ويدوم على ما كان عليه المدة المذكورة في الحديث».

نقول وبالله التوفيق: اختيار ابن الأثير والعظيم آبادي أرجح وأصح، فيكون المقصود بدوران رحي الإسلام إقامة دولة الإسلام في المدينة في عهد النبي ﷺ، ثم الخلافة الراشدة، وقد استمرت هذه المرحلة خمساً وثلاثين سنة أو ستاً، أو سبعمائة، ثم توقفت هذه الرحي، بل دارت رحي الفتن، وذلك بمقتل عثمان رضي الله عنه، أو بعد مقتله بسنة أو سنتين، وهي حالة الهلاك التي ذكرها الحديث.

مدة دولة الإسلام الثانية

وأما قوله: (وإن يقيم لهم دينهم يقيم لهم سبعين عاماً) فقد ذهب العلماء مذاهب شتى في حمل هذه السبعين على عهود إسلامية سابقة، وبعضهم عدّ اثني عشر خليفة من الأمويين لتنطبق عليهم هذه الصفة، وذلك جمعاً بين

هذا الحديث وحديث: «سيكون اثنا عشر خليفة كلهم من قريش». والصحيح: - والله أعلم - أن دوران الرحي في المرة الثانية سيكون كدورانها في المرة الأولى على منهاج النبوة، فهذا الحديث العظيم يبشر بقيام دولة الإسلام على منهاج النبوة مرة أخرى، ويستمر هذا القيام سبعين عاماً، ويدخل في هذه السبعين حكم المهديّ وحكم عيسى عليه السلام، وبقية الخلفاء الاثني عشر، الذين جاء ذكرهم في أحاديث كثيرة^(١).

أمّا قوله: (قال: قلت: أمّا بقي أو ممّا مضى؟ قال: ممّا مضى). فيقول العظيم آبادي، ١١ / ٢٢٣: يريد أن السبعين تتم لهم مستأنفة بعد خمس وثلاثين، أم تدخل الأعوام المذكورة في جملتها؟ (قال: ممّا مضى) يعني يقوم لهم أمر دينهم إلى تمام سبعين سنة من أول دولة الإسلام، لا من انقضاء خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين إلى انقضاء سبعين، انتهى.

قلنا: جاء في رواية الإمام أحمد: «مما بقي»، ويبدو أن السؤال موجه حول الخمس والثلاثين؛ لأن هذا هو الذي يثير فضول السائل، ثم إن هنالك فاصلاً بين المرحلتين، وهو الهلاك، الذي يعني عدم إقامة الدين على وجه الكمال والتمام، ونخلص من هذا إلى أن قوله: ممّا مضى، أو مما بقي إنّما هو عن المرة الأولى، وتبقى السبعون. ويمكن أن نجتمع بين الروایتين بأن قوله ممّا مضى يدل على بدء عد المرحلة الأولى، وأنه يكون البدء في العد من بدء قيام دولة الإسلام في المدينة زمن النبي ﷺ، وأمّا قوله: ممّا بقي في الرواية الثانية فيدل على بدء العد للمرحلة الثانية التي هي سبعون عاماً، وذلك أن العد

(١) انظر «تهذيب موسوعة الفتن وأشراف الساعة» ص ٣٠٥.

يكون مستأنفاً بعد الخمس والثلاثين، وقد دلت رواية أبي الأحوص عن ابن مسعود عند الطبراني على أن السبعين عاماً تأتي متراخية لا مباشرة، وفيها دلالة على أنها قد تأتي على فترات متباعدة بناء على تحقق شرط وجود الخلافة الراشدة التي تدور فيها الرحى للإسلام، لا لغيره من المصالح الشخصية للحكام، أو المحكومين، والله أعلم.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- في الحديث بشارة بقيام دولة الإسلام الأولى، ومدتها بضع وثلاثون سنة على منهاج النبوة.
- ٢- وفيه بشارة بقيام دولة الإسلام الثانية ومدتها سبعون سنة متتالية أو متراخية.
- ٣- وفيه التحذير من وقوع الفتن، وقد وقعت.
- ٤- يوجه الحديث الدعاة والعلماء إلى التبشير بقيام دولة الإسلام، والعمل على ذلك. والتحذير من الفتن.

بقاء الإسلام إلى قيام الساعة

٢٩. عن جابر بن سَمُرَةَ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة، أو يكونَ عليكم اثنا عشر خليفة، كلُّهم من قريش». رواه مسلم (١٨٢١).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

جابر بن سَمُرَةَ بن جنادة بن جُنْدُب، أبو خالد - ويقال أبو عبد الله - السُّوَّائِي. له صحبة مشهورة، ورواية أحاديث. وشهد فتح المدائن، مات سنة ست وستين للهجرة^(١).

المعنى الإجمالي للحديث

المقصود باثني عشر خليفة

للعلماء في معنى هذا الحديث مذاهب شتى، رأينا أن أقربها إلى الصواب هو أن هؤلاء الأئمة الاثنا عشر كلهم خليفة على منهاج النبوة يحكمون بشرع الله تعالى، وهم مفرقون على مر الزمان إلى قيام الساعة. وقد جاء وصفهم في أحاديث كثيرة: كلهم يجتمع عليه الناس، ويكون الإسلام في زمانهم عزيزاً منيعاً. ولا تضرهم عداوة من عاداهم. وكلهم من قريش.

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٣/ ١٨٦.

قال ابن الجوزي في أحد وجوه المعنى لهذا الحديث، وهو الراجح عندنا كما أسلفنا، قال^(١): أراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الخلافة إلى يوم القيامة، يعملون بالصواب، وإن لم تتوال أيامهم، فقد يكون الرجل عادلاً، ويأتي بعده من يجور، ثم يأتي بعد مدة من يعدل، فيتم عدل الاثني عشر إلى يوم القيامة.

وقال نحوه ابن حجر^(٢): يحتمل أن يكون المراد: مَنْ يَسْتَحِقُّ الخلافة من أئمة العدل، وقد مضى منهم الخلفاء الأربعة، ولا بُدَّ من تمام العدة قبل قيام الساعة. ثم قال في الرد على من يقول إنهم يكونون متوالين في زمن واحد: وهو كلامٌ مَنْ لم يَقِفْ على شيء من طرق الحديث غير الرواية التي وَقَعَتْ في البخاري هكذا مُختَصَرَةً، وقد عَرَفَتْ من الروايات التي ذَكَرْتُهَا من عند مسلم وغيره أَنَّهُ ذكر الصِّفَةِ التي تَخْتَصُّ بِوَلَايَتِهِمْ: وهو كَوْنُ الإسلام عَزِيزاً مَنِيعاً، وفي الرواية الأُخْرَى صِفَةٌ أُخْرَى: وهو أَنَّ كُلَّهُمْ يَجْتَمِعُ عليه الناس، كما وَقَعَ عند أبي داود (٤٢٧٩)، فَإِنَّهُ أخرج هذا الحديث من طريق إسماعيل ابن أبي خالد، عن أبيه، عن جابر بن سَمُرَةَ بلفظ: «لا يزال هذا الدِّين قائماً حَتَّى يَكُونَ عليكم اثنا عشر خليفة، كُلُّهُمْ تجتمع عليه الأُمَّة»، وأخرجه الطَّبْرَانِيُّ من وجه آخَرَ عن الأسود بن سعيد، عن جابر بن سَمُرَةَ بلفظ: «لا تَضُرُّهُمْ عداوة مَنْ عاداهم».

وقال ابن كثير: ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق، ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل

(١) «كشف المشكل من حديث الصحيحين» ١/ ٤٥٤.

(٢) «فتح الباري» ٢٣/ ٤٢٠.

قد وجد منهم أربعة على نسق، وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضي الله عنهم، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة، وبعض بني العباس. ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة^(١).

قيام الدين في دولة الخلافة عبر التاريخ

هذا ونقول: بأن هذه الصفات التي جاءت في وصف هؤلاء الأئمة الاثني عشر لم تجتمع كلها في خليفة واحد بعد الخلفاء الأربعة، لا من حيث اجتماعها، ولا من حيث كمالها، وإن كانت متفاوتة في كثير من الخلفاء عبر التاريخ الإسلامي. فنجد بعضهم يحكم بالإسلام إلا أنه لم يجتمع عليه الناس، أو اجتمع عليه الناس، إلا أن الإسلام لم يكن في عهده عزيزاً منيعاً، أو أنه أعز الإسلام، إلا أنه سرعان ما اختلف عليه الناس. فهذه الصفات لا يكون اجتماعها واكتمالها إلا في هؤلاء الأئمة الاثني عشر.

ولا يخرج عامة الخلفاء المسلمين عبر التاريخ من مسمى الخيرية، كما جاء في حديث حذيفة عند مسلم ١٨٤٧ قال: قلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «نعم»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر».

(١) «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦٥.

والمقصود من هذا أن الإسلام عبر تاريخه الطويل كان موجوداً وفاعلاً في واقع الحياة، إلا أنه كان ينسب متفاوتة، وخاصة في حياة الخلفاء وحُكمهم. ولم ينعدم الإسلام من حياة الناس نهائياً في فترة من الفترات، رغم ما أصاب الأمة من وهن وضعف وتمزق وتفرق وشتات وويلات.

تجديد الإسلام

وما قامت الدعوة الإسلامية في هذا العصر إلا لتجديد الإسلام، دعوة وحركة ونظام حياة بعد ما أصابه من مؤامرات عالمية لإسقاط خلافته، ونشر مبادئ الإلحاد والفساد والإضلال والطغيان في المجتمعات الإسلامية.

البشائر بانتصار الإسلام

وفي هذا الحديث بشائر بانتصار الإسلام، والحكم بشريته، وتطبيق أحكامه، وتحقيق عدالته، وأن يكون عزيزاً منيعاً، والمعبر عن هذه الأمور وجود الخليفة الموصوف بهذه الصفات، وهذا من باب تمام الدين، وكمالهِ وانتشاره، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

أهم ما يرشد إليه الحديث

١- في هذا الحديث بشائر انتصار الإسلام، والحكم به، وهو أصل من أصوله، وذلك إلى قيام الساعة، وإن كان ذلك على فترات متفاوتة.

- ٢- في الحديث بقاء قيام الإسلام في حياة الناس بالرغم مما يصيب الدولة الإسلامية من وهن وضعف أو إنهاء.
- ٣- عدد الخلفاء الذين تجتمع فيهم صفات الخلافة الراشدة اثنا عشر خليفة على طول الزمان إلى قيام الساعة.
- ٤- أنه مهما أصاب الأمة من ضعف، أو وهن، فإنها لا بد لها من الخلافة الراشدة حتى يستقيم أمرها وتنال عزتها وكرامتها.
- ٥- فيه توجيه للدعاة والعلماء أن يبشروا روح الأمل في نفوس الأمة، وأن يعملوا على قيام دولة الإسلام على منهاج النبوة.

فريضة نحرير بينت المقدس
والمحافظة على بلاد الشام

فريضة تحرير بيت المقدس والمحافظة على بلاد الشام

ثاني مسجد وُضع في الأرض

٣٠. عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أيُّ مسجدٍ وُضعَ في الأرضِ أوَّلُ؟ قال: «المسجدُ الحَرَامُ». قال: قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قال: «المسجدُ الأَقْصَى». قلتُ: كم كانَ بينهما؟ قال: «أربعونَ سنةً، ثمَّ أيُّنما أدركتَكَ الصلاةُ بعدُ فصلَّه، فإنَّ الفضلَ فيه». أخرجه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

أبو ذر جُنْدُب بن جُنَادَةَ الغِفَارِيُّ أحدُ السابقين الأوَّلِينَ. قيل: كان خامسَ خمسَةِ في الإسلام. وكان يُفتي في خلافة أبي بكر، وعثمان. كان ضخماً، جَسِيماً، كَثَّ اللَّحْيَةُ. وكان رأساً في الزُّهْد، والصدق، والعِلْم، والعمل، قَوَّالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، على حِدَّةٍ فيه. وقد شهد فتحَ بيت المقدس مع عمر. توفي سنة ٣٢ للهجرة^(١).

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٤٦/٢

معاني الغريب

فَصَلَّةٌ: بهاءٍ ساكنة، وهي هاء السَّكْتِ، وفي رواية بحذفِها.

المعنى الإجمالي للحديث

المسجد الأقصى ثاني مسجد وضع في الأرض

يبين هذا الحديث أن المسجد الحرام هو أول مسجد أنشئ لعبادة الله تعالى في الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. وأن المسجد الأقصى هو المسجد الثاني الذي وضع للناس في الأرض.

واللافت للنظر أن أبا ذر رضي الله عنه لما سأل عن المسجد الذي وضع في الأرض أولاً وعلم أنه المسجد الحرام، أراد أن يعلم أي المساجد وضع ثانياً، فجاءه الجواب بأنه المسجد الأقصى، ثم أراد أن يتبين الزمن الفاصل بين تأسيسهما. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أربعون عاماً.

قَدَمُ الْمَسْجِدَيْنِ

والظاهر أن هذين المسجدين وضعا لعبادة الله في الأرض منذ القدم، وهنالك خلاف طويل بين المؤرخين حول الذي أسس بناء المسجدين ومتى كان ذلك، في أقوال كثيرة لم يقدّم الدليل على شيء منها. وهو خلاف لا طائل من ورائه، لأن العبرة في قدسية المكان.

تجديد إبراهيم للبيت الحرام

والحديث يتكلم عن تأسيس المسجدين ولا يتكلم عن تجديدهما، وما ورد في بناء إبراهيم وإسماعيل للبيت إنما كان بناء تجديد وليس بناء تأسيس. فقد قال الله تعالى على لسان إبراهيم عندما ذهب بابنه وزوجه إلى مكة: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فقد كان البيت موجوداً قبل أن يتولى إعادة بنائه هو وإسماعيل عليهما السلام، لذا قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. ومثل هذا ما جاء في بعض الروايات التاريخية عن بناء المسجد الأقصى في إعادة بنائه على يدي داود وسليمان عليهما السلام.

الأرض كلها مسجد للصلاة

وقد بين النبي ﷺ لأبي ذر أن المدة بين بنائهما أربعون سنة، ومع قدسية هذين المكانين إلا أن النبي ﷺ أراد أن يبين ما ميز الله به هذه الأمة بأن جعل لها الأرض مسجداً وطهوراً فقال: ثم أينما أدركتكم الصلاة فصل.

المسجدان للمسلمين

وفي هذا الحديث بيان لمكانة المسجدين في الأرض وقدم تأسيسهما، وأنهما لم يؤسسا لجنس من البشر ولا لقبيلة أو عرق، وإنما وضعا في الأرض لعبادة الله وحده لا شريك له، فمن كان موحداً لله فهو أولى بهما. والدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده وجميع أنبيائه في الأرض هو الإسلام عبر التاريخ، فكل الأنبياء دعوا إلى توحيد الله تعالى بمن فيهم إبراهيم عليه السلام ومن

جاء بعده من أنبياء بني إسرائيل، فمن تبعهم فإنه منهم، ومن خالفهم فلا حق له في شيء من المسجدين. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ *﴾ [آل عمران: ٦٧ - ٦٨].

أهم ما يرشد إليه الحديث

١- أن المسجد الحرام والمسجد الأقصى هما أسبق المساجد بناء في الأرض لعبادة الله.

٢- أن المسجدين يرتبط أحدهما بالآخر، فعبادة الله فيهما عبادة واحدة.

٣- أن المسجدين للمسلمين لأن تأسيسهما سابق على قيام جميع الملل والمذاهب، باعتبار أن الإسلام هو الدين عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

٤- ولما كان المسجدان مكانا للعبادة عند المسلمين فقد وجب على المسلمين عمارتهما والحفاظ عليهما والدفاع عنهما وشد الرحال إليهما. وإذا ما احتل أحدهما وجب على المسلمين تحريره من أيدي الغاصبين.

٥- ولما كان المسجد الأقصى أسيراً في يد اليهود المحتلين وهم يعملون على هدمه وإنشاء هيكلهم المزعوم في موضعه، فإنه يجب على المسلمين

جميعاً، حكماً ومحكومين، كل حسب طاقته، أن يهبوا لنجدته وتحريره من أيدي المحتلين.

٦- وعلى أبناء الدعوة الإسلامية خاصة أن يتحملوا مسؤوليتهم تجاه المسجد الأقصى في إيقاظ الأمة، وإعدادها مادياً ومعنوياً، وحشد طاقاتها لتحريره.

٧- ومن لوازم الدفاع عن المسجد الأقصى نصرته أهله المرابطين فيه، والوقوف إلى جانبهم بشتى وسائل النصر، المادية والمعنوية. وكذا نصرته أهل فلسطين بعامة الذين أبلوا بلاء حسناً في رباطهم ومواجهتهم للعدو المحتل.

مسرى رسول الله ﷺ

٣١. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط»، قال: «فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب، جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شَبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت الصلاة فأمامتهم، فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد، هذا مالك صاحب النار، فسلم عليه، فالتفت إليه، فبدأني بالسَّلام». أخرجه مسلم (١٧٢).

معاني الغريب

الإسراء: سير الليل.

الحجر: هو القسم الخارج عن جدار الكعبة، على صورة نصف دائرة ويسمى «حجر إسماعيل» وهو جزء من الكعبة.

كربة: من الكرب وهو الهم والشدة.

شنوءة: حي من اليمن.

المعنى الإجمالي للحديث

الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

قال ابن كثير رحمه الله: يمجّد تعالى نفسه، ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ يعني محمداً، صلوات الله وسلامه عليه ﴿لَيْلًا﴾ أي: في جنح الليل ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وهو مسجد مكة ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ وهو بيت المقدس الذي هو إيلياء.

وكانت حادثة الإسراء برسول الله ﷺ في السنة العاشرة للهجرة بعد وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها، ووفاة عمه أبي طالب، وكان يعرف هذا العام بعام الحزن، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يُسرِّي عن رسوله ﷺ بهذه المعجزة وآياتها العظام، فأسرى به بجسده وروحه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء، وفرضت عليه وعلى أمته فيها الصلوات الخمس، وقد كان النبي ﷺ في تلك الليلة نائماً في بيت أم هانئ ابنة عمه أبي طالب، وكان محوطاً برجلين من أهله كما جاء في رواية عند البخاري.

الصراع بين المسلمين وبني إسرائيل

ويلاحظ أن حادثة الإسراء قد وقعت في مكة قبل الهجرة، وكان الصراع يومها بين النبي ﷺ وبين المشركين ولم يكن هناك صراع بينه وبين اليهود، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد كان الصراع يدور حول البيت الحرام، ولم يكن المسجد الأقصى وارداً في موضوع الصراع، بل كان النبي ﷺ يتمنى أن يقبل اليهود دعوته ورسالته لأنهم كانوا ينتظرونه، ويستفتحون به على المشركين، ولكن سورة الإسراء التي سجلت هذه الحادثة بينت أن الصراع الحقيقي ليس مع المشركين، ولكن مع اليهود، وليس حول البيت الحرام، ولكن حول المسجد الأقصى. لذلك أردف الكلام عن رحلة الإسراء في هذه السورة بالكلام عن إفساد بني إسرائيل وقتالهم، وبيان صفات الذين يقاثلونهم، وينتصرون عليهم. وهم المسلمون أتباع النبي محمد ﷺ. فكان إفسادهم الأول في عهد النبي ﷺ، فقاتلهم وأخرجهم من المدينة. ونحن نعيش الآن في هذا الزمان إفسادهم الثاني، وسنقاتلهم ونتصر عليهم بإذن الله. ومع هذا فقد توعدهم الله تعالى بأنهم إن عادوا للإفساد عاد عليهم بالتدمير والإهلاك.

وبينت الأحاديث أنهم سيكونون من أتباع الدجال في آخر الزمان، وسيقاتلهم عيسى عليه السلام وسيقضي عليهم.

تكذيب قريش للحادثة وتصديق الله لرسوله ﷺ

وقد أخبر النبي ﷺ قريشاً بهذه الحادثة المعجزة، فواجهوه بالتكذيب والاستهزاء، إلا أن الله سبحانه وتعالى جلى له بيت المقدس فكشف الحجب

بينه وبينه، فرآه بعينيه ماثلاً أمامه، فوصفه لهم وصفاً دقيقاً، فاعترف من أتى بيت المقدس منهم بدقة هذا الوصف. فكانت هذه معجزة أخرى.

وقد روى البخاري ٣٨٨٦، ومسلم ٢٧٦ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لما كذبتني قريش، قمت في الحجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه».

وروى الإمام أحمد ٥/ (٢٨١٩) بإسناد صحيح عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كان ليلة أسري بي، وأصبحت بمكة، فُطِعتُ بأمرِي^(١)، وعرفت أن الناس مكذبي». فقعد معتزلاً حزيناً، قال: فمر به عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم» قال: ما هو؟ قال: «إنه أسري بي الليلة» قال: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس؟» قال: ثم أصبحت بين ظهرائنا؟ قال: «نعم» قال: فلم يره أنه يكذبه، مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه، قال: أرأيت إن دعوت قومك تُحدثهم ما حدثتني؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم». فقال: هيا معشر بني كعب بن لؤي حتى قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاؤوا حتى جلسوا إليهما، قال: حدث قومك بما حدثتني. فقال رسول الله ﷺ: «إني أسري بي الليلة»، قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس»، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرائنا؟ قال: «نعم» قال: فمن بين مصفق، ومن بين واضح يده على رأسه، متعجباً للكذب زعم. قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ - وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد، ورأى المسجد - فقال رسول الله ﷺ: «فذهبت أنعت، فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض

(١) فطعت بأمرِي، أي: ضقت به ذرعاً.

النعته»، قال: «فجئني بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقال، أو عقيل، فنعته، وأنا أنظر إليه»، قال: «وكان مع هذا نعت لم أحفظه» قال: «فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب».

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة^(١) الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء إرادة إظهار الحق لمعاندة من يريد إخماده، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر أنه أسري به إلى بيت المقدس سأله عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها، وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه، فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة، وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره، فكان ذلك زيادة في إيمان المؤمن، وزيادة في شقاء الجاحد والمعاندة. انتهى ملخصاً^(٢).

لقاؤه ﷺ بالأنبياء ووصفه لهم وصلاته بهم

وقد التقى النبي ﷺ في هذه الرحلة إخوانه من الأنبياء الذين اجتمعوا في بيت المقدس فأمهم في الصلاة فيه، ووصف لنا ﷺ بعض هؤلاء الأنبياء

(١) الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة المغربي، نزيل مصر، كان عالمًا عابدًا خيرًا مشهور الذكر، شرح منتخباً له من البخاري. قال الإمام ابن كثير: كان قوالاً بالحق أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. وكانت وفاته بمصر سنة ٦٩٩ هـ. انظر «البداية والنهاية» ١٣ / ٤٠٧، و«تبصير المنتبه» ١ / ٤٥٧.

(٢) انظر «فتح الباري» ١١ / ٣٨٠.

كموسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام. مما يدل على أن هذا البيت هو مهوى أفئدة الأنبياء، ومحط أنظارهم، ومجتمع بركتهم. قال ابن كثير رحمه الله: إيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل؛ ولهذا جُمعوا له هنالك كلهم، فأُمهم في محلّتهم، ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- دل هذا الحديث على أن حادثة الإسراء هي من أعظم الحوادث في تاريخ الإسلام ورسالته، وذلك لما تضمنته من الأمور العظيمة.
- ٢- أن تكذيب كفار مكة لهذه المعجزة والاستهزاء بصاحبها ما هو إلا سنة درج عليها أعداء الدعوة الإسلامية في كل عصر.
- ٣- وما لقيه النبي ﷺ من الكرب حال تكذيب الكفار له هو سنة من سنن الابتلاء التي يتعرض لها الدعاة في كل عصر.
- ٤- بينت هذه الحادثة مكانة بيت المقدس في الإسلام، وأنه ميراث رسول الله ﷺ من جميع الرسالات والمرسلين.
- ٥- إمامة النبي ﷺ بالأنبياء والمرسلين دلت على أنه وارثهم جميعاً، وأنه صاحب لواء بيت المقدس وكذلك أمته من بعده.
- ٦- أما وإن بيت المقدس محتل هذه الأيام من اليهود، فإن هذه الحادثة تشد أنظار المسلمين إليه، والتمسك به، والحفاظ عليه، والدفاع عنه،

والجهاد في سبيل تحريره، وحرمة التفريط بذرة من ترابه، أو التفاوض عليه.

٧- كما وإن هذه الحادثة تشد أنظار الدعاة والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء أن يقوموا بواجبهم تجاهه في بيان مكانته، وأحقية المسلمين فيه، واستنهاض الأمة للدفاع عنه، والأحكام الشرعية المتعلقة به، وبحرمة التنازل عنه، ووجوب تحريره من يد الغاصبين.

أول قبلة للمسلمين

٣٢. عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر - أو سبعة عشر - شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: (١٤٤)]، فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس - وهم اليهود -: ﴿مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: (١٤٢)]، فصلّى مع النبي ﷺ رجلاً، ثم خرج بعدما صلى، فمرّ على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ، وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة. أخرجه البخاري (٣٩٩)، ومسلم (٥٢٥).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

البراء بن عازب بن الحارث أبو عمارة الأنصاري، الحارثي، المدني، الفقيه الكبير، نزيل الكوفة، روى حديثاً كثيراً، وشهد غزوات كثيرة مع

النبي ﷺ واستُصغر يوم بدر، وقال: كنت أنا وابن عمر لِدَّةً^(١). وغزى مع النبي خمس عشرة غزوة وأبوه من قدماء الأنصار. توفي سنة اثنتين وسبعين. عن بضع وثمانين سنة^(٢).

المعنى الإجمالي للحديث

قبلة المسلمين الأولى

قوله: «صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ - أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ - شَهْرًا»: المقصود به مدة صلاته ﷺ إلى بيت المقدس وهو في المدينة، أما في مكة قبل الهجرة، فقد كان ﷺ يتوجه إلى بيت المقدس، لكنه كان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذر أن يجمع بين القبلتين، فظل على استقبال بيت المقدس مدة ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً.

وكان الأنصار في المدينة قبل هجرة النبي ﷺ إليهم يستقبلون بيت المقدس في صلاتهم، كما ورد في حديث بيعة العقبة الثانية عند الإمام أحمد برقم (١٥٧٩٨) بإسناد حسن عن كعب بن مالك: أنهم كانوا يستقبلون الشام، وفي طريقهم إلى مكة أراد البراء بن معرور كبيرهم وسيدهم أن يستقبل الكعبة، فنهاه أصحابه، فأبى، فلما أتى النبي ﷺ وسأله عن استقبال الكعبة، قال له: «لقد كنت على قبلة (يعني بيت المقدس) لو صبرت عليها». فتوجه إلى الشام.

(١) لدة الرجل: الذي ولد معه، أو قريباً من ميلاده.

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» ٣/ ١٩٧.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: وحاصل الأمر أنه قد كان رسول الله ﷺ أمر باستقبال الصخرة في بيت المقدس، فكان بمكة يُصلي بين الركنين، فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما، فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس.

ثم قال: والمقصود: أن التوجه إلى بيت المقدس بعد مقدمه ﷺ المدينة، واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهراً وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم عليه السلام، فأجيب إلى ذلك وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق فخطب رسول الله ﷺ الناس فأعلمهم بذلك.

إفساد اليهود في المدينة

وقد أثار اليهود حول حادثة تحويل القبلة الشبهات والأراجيف طعنا في الدين وصدا عن سبيل الله، بإشاعة أن القبلة قبلتهم، وأنه لا يجوز استقبال قبلة غيرها. فرد الله سبحانه وتعالى شبهتهم عليهم ووصمهم بالسفاهة والجهالة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. وأمر توجيه الناس إلى القبلة هو لله وحده لا شريك له. وأنه باب من أبواب الهداية في الأولى والثانية.

وإن دل فعل اليهود هذا على شيء فإنما يدل على طبيعتهم في الإفساد. فما فتوا يحاولون تحريف حقائق الدين، وصد الناس عن الحق. هذا من جانب، أما جوانب الحياة الأخرى فحدث عن إفسادهم فيها ولا حرج.

استجابة الصحابة إلى تحويل القبلة

ولقد استجاب الصحابة الكرام دون تردد أو تسويف لهذا التحويل، طاعة منهم لله ورسوله، وبلغ من تمام استجابتهم أن تحولوا في صلاة كانوا يصلونها، فكان أولها إلى بيت المقدس وكان آخرها إلى الكعبة.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- بيت المقدس هو قبلة المسلمين الأولى التي توجهوا إليها في صلاتهم مدة تزيد على الثلاث سنوات ما قبل الهجرة وبعدها.
- ٢- دل هذا التوجه إلى بيت المقدس على مكانته العظيمة عند الله تعالى.
- ٣- دل هذا التوجه على علاقة المسجدين بعضهما ببعض، وعلى ارتباط المسلمين بهما.
- ٤- وفي هذا دلالة على دور اليهود في الإفساد في المدينة، مما جعل النبي ﷺ أن يقاتلهم ويخرجهم منها.
- ٥- وفي هذا الحديث سرعة استجابة الصحابة الكرام لأوامر النبي ﷺ، وتمثلهم بها.
- ٦- وفي هذا الحديث توجيه للدعاة بتوثيق علاقتهم وارتباطهم ببيت المقدس، وتعظيمه كما عظمه الله وقده، والعمل على بيان مكانته عند الله للناس، والسعي إلى تحريره من أيدي اليهود الغاصبين.

فضل الصلاة في المسجد الأقصى

٣٣. عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ: أيُّهما أفضل: مسجد رسول الله ﷺ، أو مسجد بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلّي، وليوشكن أن يكون للرجل مثل سيّة قوسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس، خيرٌ له من الدنيا جميعاً» أو قال: «خيرٌ من الدنيا وما فيها». أخرجه الحاكم (٥٠٩/٤). وهو حديث صحيح.

معاني الغريب

سيّة قوسه: جاء في بعض النسخ المطبوعة: «شطن فرسه»؛ والشطن: الحبل. والصواب «سيّة قوسه»: وسيّة القوس: طرفه الذي يلوى عليه الوتر، وللقوس سيّتان. والشطن والسيّة قريبان في المعنى.

المعنى الإجمالي للحديث

اهتمام الصحابة بالمسجد الأقصى وفضل الصلاة فيه

في هذا الحديث بيان لاهتمام الصحابة ببيت المقدس قبل أن يفتح، ثم بيان لفضله وفضل الصلاة فيه، فقد بين النبي ﷺ أن صلاة في مسجد النبي

تعدل أربع صلوات في المسجد الأقصى، وقد صح عن النبي ﷺ أن الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وعليه فإن الصلاة في المسجد الأقصى تعدل مئتين وخمسين صلاة فيما سواه. وهذا أصح ما ورد في فضل الصلاة فيه.

فضل مجاورة ومشاهدة بيت المقدس

ويبين الحديث فضل مجاورة بيت المقدس والنظر إليه ولو عن بعد، وأن يكون للرجل مكان من الأرض ولو كان متناهيًا في الصغر ينظر منه إلى بيت المقدس خير له من الدنيا وما فيها.

ويشهد لهذا قول الله تبارك وتعالى في المسجد الأقصى: ﴿الذي باركنا حوله﴾ فقد مد البركة إلى الأرض المحيطة به، لكونها حوضاً له جغرافياً وبشرياً، وأن هذا الحوض بالإضافة إلى ما فيه من البركة فإنه سياج يحافظ على المسجد الأقصى وقلعة تحمي المسجد الأقصى، واحتلال هذا الحوض احتلالاً للمسجد الأقصى وتفريط به. ففيه دعوة للمسلمين أن يكتفوا سكناهم في بيت المقدس وحول بيت المقدس. كما يتوجب على الحكومات الإسلامية والعربية والمؤسسات الرسمية والشعبية أن تولي بيت المقدس عنايتها لتثبت أهله وتكثير سواد المسلمين حوله.

حال حوض بيت المقدس هذه الأيام

ومن أجل ذلك وجدنا المسلمين قديماً وحديثاً يرفضون التنازل عن أي جزء من فلسطين للأعداء، كما فعل السلطان عبد الحميد عندما رفض قيام

مستوطنة لليهود على أرض فلسطين. وأما حال حوض المسجد الأقصى اليوم فقد وقع تحت ربة الاحتلال اليهودي، وهم يحاولون جاهدين كل يوم تفريغه من أهله وإحلال اليهود محلهم. وقد تم بناء عشرات المستوطنات والكنس فيه. وزاد الطين بلة ما فعله الرئيس الأمريكي ترامب، يوم أن أصدر قراراً بنقل سفارة الاحتلال إلى بيت المقدس، تأكيداً على احتلالها، وحرمان المسلمين من حقهم فيها، وتدنيهاً لما فيها من القداسة والبركة.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- بين الحديث فضل الصلاة في المسجد الأقصى، وأنها تعدل مئتين وخمسين صلاة فيما سواه إلا البيت الحرام والمسجد النبوي.
- ٢- في هذا الحديث بيان لمكانة بيت المقدس في الإسلام، وبيان لاهتمام الصحابة به، حتى قبل أن يفتح.
- ٣- وفيه بيان لبركة الأرض التي تطل على بيت المقدس وترغب المسلمين بها، والحرص على ملكيتها، وعدم التفريط بها لأي كان، يهود أو غيرهم.
- ٤- وفيه الحث على بقاء المسجد الأقصى تحت نظر المسلمين عامة، وتحت نظر من بيدهم أمور المسلمين خاصة.
- ٥- وفي هذا الحديث حث للدعاة على القيام بواجبهم تجاه بيت المقدس، في الحفاظ عليه والدفاع عنه، وسكناه وسكنى الأرض من حوله، والتمسك بها، والعمل على فضح مؤامرات التنازل والتفريط التي تهدده بقيام هيكل لليهود في مكانه.

ثالث المساجد التي تُشد إليها الرحال

٣٤. عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «لا تُشدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثة مَسَاجِدَ: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى». أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

المعنى الإجمالي

المقصود بشد الرحال إلى المساجد الثلاثة

قال ابن حجر: «لا تُشدُّ الرِّحالُ» بضم أوله بلفظ النَّهي، والمراد: النَّهي عن السفر إلى غيرها، قال الطَّيْبِيُّ: هو أبلغ من صريح النَّهي، كأنه قال: لا يستقيم أن يُقصدَ بالزيارة إلَّا هذه البقاع لاختصاصها بما اختصت به، والرِّحال: جمع رَحْل، وهو للبعير كالسَّرج للفرس، وكُنِيَ بشدِّ الرِّحال عن السفر لأنه لازمه، وخَرَجَ ذِكْرُهَا مَخْرَجَ الغالبِ في ركوب المسافر، وإلَّا فلا فرق بين ركوب الرِّواحل والخيول والبغال والحمير والمشي في المعنى المذكور، ويدلُّ عليه قوله في بعض طرقه: «إِنَّمَا يُسَافِرُ» أخرجه مسلم (٥١٣ / ١٣٩٧).

قال السُّبْكِيُّ الكبير: ليس في الأرض بُقعةٌ لها فضل لذاتها حتَّى تُشدَّ الرِّحالُ إليها غير البلاد الثلاثة، ومرادي بالفضل ما شهد الشَّرع باعتباره

وَرَتَّبَ عَلَيْهِ حُكْمًا شَرْعِيًّا، وَأَمَّا غَيْرُهَا مِنَ الْبِلَادِ فَلَا تُشَدُّ إِلَيْهَا لِدَاتِهَا بَلْ لَزِيَارَةٍ أَوْ جِهَادٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمُنْدُوبَاتِ أَوْ الْمَبَاحَاتِ .

تيسير السبل إلى هذه المساجد

قلنا: ويلزم من قوله ﷺ لا تشد الرحال إلا إلى هذه المساجد الثلاثة أن تكون السبل إليها ميسرة، ويأمن المسلم على نفسه الوصول إليها والعبادة فيها، فلا يبقى مانع من عدو أو غيره. وفي عصرنا هذا الذي احتل فيه المسجد الأقصى، وأصبح الوصول إليه والعبادة فيه تحت حراب الاحتلال، واعتراضاً بسلطة اليهود عليه، فإنه من الواجب على المسلمين أن يسعوا إلى تحريره من نير الاحتلال، وتيسير السبل إليه.

ومع هذا فقد قام أهل فلسطين في زماننا بإحياء واجب الرباط فيه، وقد منعوا برباطهم وصبرهم ومصابرتهم العدو من إمضاء سياساته في تقسيم المسجد بين المسلمين واليهود زمانياً ومكانياً. وحالوا دون فرض بوابات الاحتلال الإلكترونية، وعمروا المسجد بالاعتكاف فيه وحراسته والمحافظة عليه. فجزاهم الله عن المسجد الأقصى وعن المسلمين خير الجزاء.

أهم ما يرشد إليه الحديث

١- في هذا الحديث بيان فضل المساجد الثلاثة ومكانتها في الإسلام، وأنه لا تشد الرحال إلا إليها.

٢- وتأتي أهمية المسجد الأقصى على وجه الخصوص من حيث إن رسول الله ﷺ ذكره وذكر شد الرحال إليه ولم يكن يومها في حوزة المسلمين بل كان تحت سيطرة الروم.

٣- وفي هذا وجوب الجهاد لتحرير بيت المقدس كي يتسنى للمسلمين شد الرحال إليه، والعبادة فيه.

٤- زيارة المسجد الأقصى تحت ظل الاحتلال اعتراف بسلطة اليهود عليه، ورضى باحتلالهم له.

٥- واجب الدعاة أن ينبهوا المسلمين إلى دورهم في الحفاظ على المسجد الأقصى واستنقاذه من أيدي اليهود المجرمين لتمكين المسلمين من شد الرحال إليه.

البشرى بفتح بيت المقدس

٣٥. عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ - وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ - فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِيفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظْلُ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣١٧٦).

التعريف بالصحابي راوي الحديث

عوف بن مالك الأشجعي الغطفاني، ممن شهد فتح مكة وكانت مع راية أشجع يوم الفتح، وشهد غزوة مؤتة. وكان من نبلاء الصحابة. توفي سنة ثلاث وسبعين للهجرة^(١).

معاني الغريب

أدم: جلد.

موتان: هو الموت الكثير.

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٢ / ٤٨٧.

قعاص الغنم: هو داء يأخذ الدواب، فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة. والمقصود به سرعة موتها. ويقال: إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس. قال الواقدي: توفي في عام طاعون عمواس من المسلمين بالشام خمسة وعشرون ألفاً. وقال غيره: ثلاثون ألفاً.

استفاضة المال: أي: كثرته، وظهرت في خلافة عثمان عند تلك الفتوح العظيمة، والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل عثمان واستمرت الفتن بعده. هدنة: هي الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه. بنو الأصفر: هم الروم.

غاية: أي: راية، وسميت بذلك لأنها غاية المتبع، إذا وقفت وقف.

المعنى الإجمالي للحديث

البشارة بفتح بلاد الشام

جاء هذا الحديث والنبى ﷺ في تبوك على أبواب بلاد الشام، بشارة للمؤمنين بفتح هذه البلاد، وأنها ستقع تحت سلطان المسلمين، ومنها بيت المقدس درتها وسرتها.

فتح بيت المقدس من علامات الساعة

وفيه بيان لبعض الأحداث من علامات الساعة، التي يرتبط بعضها ببيت المقدس، وقد وقع أكثرها. ومنها فتح بيت المقدس، وقد فتح في زمن عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٥ هـ. وبقي تحت سلطان المسلمين إلى أن احتله الصليبيون سنة ١٠٩٩م/٤٩٢ هـ، ثم حرره الناصر صلاح الدين الأيوبي منهم سنة ١١٨٧م/٥٨٣ هـ. ثم عاد تحت الاحتلال اليهودي سنة ١٩٦٧م/١٣٨٧ هـ وما زال تحت احتلالهم إلى الآن، يئن ويستصرخ المسلمون في شتى بقاع الأرض لتحريره وتخليصه من يد الغاصبين.

من علامات الساعة

قال ابن حجر: قال المهلب: فيه أن الغدر من أشراط الساعة. وفيه أشياء من علامات النبوة قد ظهر أكثرها. وقال ابن المنير: أما قصة الروم فلم تجتمع إلى الآن، ولا بلغنا أنهم غزوا في البر في هذا العدد، فهي من الأمور التي لم تقع بعد. وفيه بشارة وندارة، وذلك أنه دل على أن العاقبة للمؤمنين مع كثرة ذلك الجيش، وفيه إشارة إلى أن عدد جيوش المسلمين سيكون أضعاف ما هو عليه. ووقع في رواية للحاكم (٤/٤٢٣) من طريق الشعبي، عن عوف بن مالك في هذا الحديث: أن عوف بن مالك قال لمعاذ في طاعون عمواس: إن رسول الله ﷺ قال لي: «اعدد ستاً بين يدي الساعة» فقد وقع منهن ثلاث، يعني: موته ﷺ، وفتح بيت المقدس، والطاعون، قال: وبقي ثلاث، فقال له معاذ: إن لهذا أهلاً.

أهم ما يرشد إليه الحديث

١ - حضور بيت المقدس في قلب النبي ﷺ واهتمامه به، والبشارة بفتحه على يد المسلمين.

- ٢- بعض الأحداث التي ذكرها الحديث تدور حول بيت المقدس مما يدل على أن بيت المقدس مركز الصراع بين الحق والباطل قديماً وحديثاً.
- ٣- أن العاقبة للمؤمنين مع كثرة أعداد جيوش الكافرين.
- ٤- وواجب الدعاة أن يكون بيت المقدس حاضراً في قلوبهم، كما كان حاضراً في قلب النبي ﷺ، وأن يتحملوا مسؤوليتهم تجاهه في المحافظة عليه وتطهيره من دنس الغاصبين.

الملائكة باسطة أجنحتها على الشام

٣٦. عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوماً ونحن عنده: «طُوبَى لِلشَّامِ»، قال: «إِنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ لَبَاسِطَةٌ أَجْنَحَتَهَا عَلَيْهِ». أخرجه ابن حبان (٧٣٠٤)، وإسناده صحيح.

التعريف بالصحابي راوي الحديث

زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد أبوسعيد، وأبو خارجة، الخزرجي، كاتب الوحي، الإمام الكبير، شيخ المقرئين والفرّاضين^(١)، مفتي المدينة، وقد قتل أبوه قبل الهجرة يوم بُعث، فُرِبي زيد يتيماً. وكان أحد الأذكىاء، فلما هاجر النبي ﷺ أسلم زيد، وهو ابن إحدى عشرة سنة، أمره النبي ﷺ أن يتعلم خط اليهود، ليقرأ له كتبهم، قال: «فإني لا آمنهم». قال: فتعلمته، فما مضى لي نصف شهر حتى حذفته، وكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم. حدث عن النبي ﷺ، وقرأ عليه القرآن بعضه أو كله، ومناقبه جمّة. وهو الذي تولى قسمة الغنائم يوم اليرموك. وكان عمر بن الخطاب إذا حج يستخلفه على المدينة. وجمع القرآن في عهد أبي بكر بأمر منه. وما كان عمر، وعثمان يقدمان على زيد أحداً في الفرائض، والفتوى، والقراءة، والقضاء. توفي قريباً من سنة خمسين^(٢).

(١) علماء الفرائض، وهي المواريث.

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» ٤٢٦/٢.

معاني الغريب:

طُوبَى: اسمُ الجنة. وقيل: هي شجرةٌ فيها، وأصلُها: مِنَ الطَّيِّبِ، وهو المُرادُ بها، فهو ثناء على الشام، بمعنى الدعاء لها بالراحة لأهلها وطيب عيشهم.

الشام: كانت تطلق في القديم على بلاد سوريا ولبنان وفلسطين والأردن. قال ياقوت الحموي: وأما حدّها فمن الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصريّة، وأما عرضها فمن جَبَلِي طِيء من نحو القبلة إلى بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط). وبها من أمّهات المدن مَنبِج وحلب وحماة وحمص ودمشق والبيت المقدس والمعرّة، وفي الساحل أنطاكية وطرابلس وعكاّ وصور وعسقلان.

المعنى الإجمالي للحديث

الشام أرض البركة

في هذا الحديث يدعو النبي ﷺ للشام وأهلها بالخير والبركة، وقد كثرت الدلائل من القرآن والحديث في هذا المعنى، فمن القرآن قول الله تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، فقوله (الذي باركنا حوله) يدل على عموم البركة لما حول المسجد الأقصى من الأرض، ويدخل في ذلك الشام، وهي مهاجر إبراهيم ولوط عليهما السلام قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى

الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿[الأنبياء: ٧١] فدلّت هذه الآية على أن أرض الشام أرض مباركة، وبركتها تنال العالمين أجمعين.

وقد وصفها الله تعالى بالبركة أيضاً في قوله تعالى وهو يسخر الرياح لسليمان: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

ووصفها الله تعالى كذلك بالبركة في منّة على قوم سبأ وهم يسافرون إليها تجاراً ينتفعون من بركتها: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورًى ظَاهِرَةً﴾ [سبأ: ١٨].

وجاء النص على البركة في دعاء النبي ﷺ للشام بالبركة فيما رواه البخاري برقم ١٠٨٧ عن ابن عمر، قال: «اللهم بارك لنا في شامنا وفي يَمَننا». والمقصود بالبركة: هي الخير الدائم الكثير في الماء والهواء والشجر والحجر والبشر، وفي كل ما تعلق بها من خيرات.

الشام أرض الإيمان

أما أن الملائكة باسطة أجنحتها على الشام، فهو كناية عن حفظ الدين فيها، فقد ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ أن عقر دار المؤمنين في الشام، وأن الطائفة المنصورة التي لا تزال على الحق إلى يوم القيامة بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، وأن عمود الكتاب وهو الدين سيكون في الشام في آخر الزمان كما سيأتي في الأبواب التالية.

وأما ما يصب الشام وأهلها من اللأواء والقتل والجوع فهذا مما ابتلى الله به عباده المؤمنين، وسيبقى الجهاد قائماً في الشام إلى يوم القيامة دفاعاً عن الدين وأهله.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- أن الشام موضع اهتمام النبي ﷺ قبل أن تفتح. مما يؤكد مكانتها في الدين.
- ٢- وفي ذلك لفت لأنظار المؤمنين إلى الشام، لفتحها والحفاظ عليها والجهاد في سبيل تحريرها.
- ٣- الشام أرض مباركة لعموم الخير فيها، وشموله لأمر الدين والدنيا.
- ٤- وفي هذا الحديث لفت أنظار الدعاة والعلماء إلى الشام، وعلى الخصوص الأرض المقدسة فيها، للمحافظة عليها والدفاع عنها وطلب الشهادة على أرضها، والعمل على تحريرها.

صلاح أهل الشام صلاح الأمة

٣٧. عن قُرّة بن إياس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ، فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». أخرجه الترمذي (٢١٩٢)، وهو حديث صحيح.

التعريف بالصحابي راوي الحديث

قرة بن إياس بن هلال بن رثاب المزني، أبو معاوية البصري، وهو جد إياس بن معاوية بن قرة المزني. سكن البصرة، قتلته الأزارقة، وهي فرقة من الخوارج سنة ٦٤ للهجرة^(١).

المعنى الإجمالي للحديث

أهل الشام أهل الخير

يبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن الخير مستقر في الشام حتى تقوم الساعة، فقد جمع النبي ﷺ في هذا الحديث بين صلاح أهل الشام، وبين الطائفة المنصورة التي تحمل لواء الإسلام على طول الزمان، على أن هذه الطائفة ستكون في بلاد الشام. وفي «مستخرج أبي عوانة على مسلم»

(١) انظر «تهذيب الكمال» ٢٣/٥٧٢.

(٧٥٠٢) في حديث «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» قال معاذ بن جبل: وهم بالشام.

وجاء في حديث آخر: هم ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس، من حديث أبي أمامة، وحديث أبي هريرة، وحديث مرة البهزي، بالفاظ متقاربة، ولا يخلوا كل واحد منها من ضعف، لكن يشد بعضها بعضاً.

كل هذا مما يؤكد أن الشام هي ملاذ المؤمنين عبر التاريخ، وفي آخر الزمان، وأن الفئة المنصور التي تحمل لواء الحق للشام منها النصيب الأكبر وإن كانت هذه الطائفة منتشرة في الأرض كلها.

وقد قال النووي رحمه الله عن هذه الطائفة: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض...^(١).

من صفات الطائفة المصورة وشروطها

ومن جهة أخرى يمكننا أن نقول: إن هذه الفئة المنافحة عن الإسلام، الداعية إلى تحكيم شريعته، القائمة بأمر الله تعالى، هي الطائفة الظاهرة،

(١) انظر «شرح النووي على مسلم» ١٣/٦٧.

وهي متنوعة في الطاقات والكفاءات والمعارف، ولكنها متّحدة في الأهداف والغايات، ولا تكون هذه الطائفة على المستوى المطلوب إلا بالعلم والفقه الذي يساعدها على فهم أحكام الشريعة، ومعرفة عقيدة الإسلام ونظمه، وكيفية الدعوة إليه. والعلم الشرعي شرط من شروطه، والعمل الشرعي شرط كذلك، وهذا ما يفهم من رواية البخاري: «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسمٌ والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر ربها لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- تزكية أهل الشام بالجملة، وأن الإسلام مستقر في الشام.
- ٢- وأن للشام النصيب الأكبر من الطائفة المنصورة على مر الزمان.
- ٣- في الحديث توجيه إلى نصرة أهل الشام، والحفاظ على قيام الدين فيها، كي تبقى قاعدة الإسلام، وموئل القائمين على الإسلام.
- ٤- العمل على إصلاح ما يفسد من أهل الشام، ففي صلاحهم صلاح الأمة، وفي فسادهم فساد الأمة.
- ٥- ولما كان بيت المقدس قلب الشام، ودّرتها، ومسرى النبي ﷺ، وقبله المسلمين الأولى، فإن له من هذا الحديث أوفر نصيب.
- ٦- أما الدعاة والمصلحون فواجبهم أن ينصروا أهل الشام، وعلى وجه الخصوص فلسطين المقدسة المباركة، وأن يوجهوا الأمة إلى دور بلاد الشام

في حماية بيضة الإسلام. وأن يُحذروا من المؤامرات العالمية على الشام لتمزيقها، وبث الفرقة بين أبنائها، وتجهيلهم بالدين، وإبعادهم عن الشريعة وأحكامها.

الإيمان في الشام حين تقع الفتن

٣٨. عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم إذ رأيتُ عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننتُ أنه مذهبُ به، فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، ألا وإنَّ الإيمانَ حينَ تقعُ الفتن بالشام». أخرجه أحمد ٣٦ / (٢١٧٣٣). وإسناده صحيح.

التعريف بالصحابي راوي الحديث

أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، الإمام، القدوة، قاضي دمشق، حكيم هذه الأمة، وسيد القراء بدمشق. أسلم يوم بدر، ثم شهد أحداً، وأمره رسول الله ﷺ يومئذ أن يرد من على الجبل، فردَّهم وحده، وهو معدود فيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ. وتصدر للإقراء بدمشق في خلافة عثمان، وقبل ذلك. وولي القضاء بدمشق، في دولة عثمان، فهو أول من ذكر لنا من قضاتها، مات سنة اثنتين وثلاثين للهجرة^(١).

معاني الغريب:

عمود الكتاب: الدين والسلطان، وقد نقل ابن حجر في «الفتح» ٤٠٣/١٢ قول العلماء بالتعبير، قالوا: من رأى في منامه عموداً، فإنه يعبر بالدين، أو برجلٍ يُعتمد عليه فيه، وفسَّروا العمود بالدين والسلطان.

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٢ / ٣٣٥.

المعنى الإجمالي للحديث:

تمكين الدين في الشام

حدث النبي ﷺ أصحابه بما رآه في منامه، ورؤيا الأنبياء وحي، أن عمود الكتاب أخذ من تحت رأسه، وذهب به إلى الشام، وهو كناية عن أن الدين ومنعته وقوته ستكون في الشام حين تقع الفتن.

هذا عند وقوع الفتن، ومن باب أولى أن يكون الإيمان والجهاد في سبيله مستقرًا فيها قبل وقوع الفتن. والواقع التاريخي للشام يؤيد ذلك، وما تحرير بيت المقدس من يد الصليبيين، ودفع المغول عنها في عين جالوت عن هذا ببعيد.

وما نشاهده اليوم من مؤامرات ومكائد للشام وأهلها، واغتصاب فلسطين وبيت المقدس، مع ثبوت الإيمان فيها، وصمود أهلها وكثرة شهدائها، لهو من أكبر الأدلة على صدق ما جاء في حديث النبي ﷺ أن عمود الكتاب ركز في الشام.

وقد أخرج الطبراني في «مسند الشاميين» (٦٠١) بسند حسن عن عبد الله ابن حوالة أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت ليلة أُسري بي عموداً أبيض كأنه لواء تحمله الملائكة، فقلت: ما تحملون؟ قالوا: عمود الكتاب أمرنا أن نضعه بالشام». قال: «وبينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب اختلس من تحت وسادتي، فظننت أن الله تَخَلَّى عن أهل الأرض، فأَتْبَعْتُهُ بَصْرِي فإذا هو نورٌ ساطعٌ حَتَّى وُضِعَ بالشام». فقد جمعت هذه الرواية بين ما رآه النبي ﷺ في

حادثة الإسراء والمعراج وبين ما رآه في منامه، وهو تأكيد لمكانة الشام وأهلها، وإن الدين سيؤول حفظه ونشره إلى الشام وأهلها.

أهم ما يرشد إليه الحديث:

- ١- في هذا الحديث بيان لمكانة الشام ومنزلتها في الإسلام.
- ٢- أن هناك فتناً ستصيب المسلمين وأن أهل الشام سيكونون الحصن الحصين للدين وأهله من هذه الفتنة
- ٣- أن المؤامرات على الشام عامة وفلسطين خاصة ستؤول إلى الفشل والاندحار مهما طال الزمن أو قصر. وأن أهل الشام هم مادة الإسلام وعدته.
- ٤- وفي الحديث توجيه للدعاة خاصة أن يكون لهم الدور الأكبر في حماية الدين في الشام وحفظه، وفضح المؤامرات التي تحاك ضد الإسلام والمسلمين لتمزيق الشام والسيطرة عليها واحتلال بيت المقدس، وكشفها للناس كي تستبين سبيل المجرمين، فيقوم كل واحد من المسلمين من موقعه بواجبه تجاه الشام وفلسطين وبيت المقدس.

عُقْرُ دار المؤمنين الشام

٣٩. عن سلمة بن نُفَيْل الكِنْدِيِّ رضي الله عنه، قال: كنتُ جالساً عند رسول الله ﷺ، فقال رجلٌ: يا رسول الله، أذال الناسُ الخيل، ووضعوا السلاحَ، وقالوا: لا جهاد، قد وَضَعَتِ الحربُ أوزارها. فأقبل رسولُ الله ﷺ بوجهه، وقال: «كذبوا، الآن الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أُمَّةٌ يُقاتِلون على الحقِّ، ويُزيغُ الله لهم قلوبَ أقوامٍ، ويرزقهم منهم، حتَّى تقومَ الساعةُ، وحتَّى يأتيَ وعدُ الله، والخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة، وهو يوْحَى إليَّ أَنِّي مقبوضٌ غير مُلَبَّثٍ، وأنتم تتبعوني أفناداً يَضْرِبُ بعضكم رقاب بعضٍ، وعُقْرُ دار المؤمنين الشَّامُ». أخرجه أحمد (٢٨/١٦٩٦٥)، والنسائي (٣٥٦١)، وإسناده صحيح.

التعريف بالصحابي راوي الحديث

سلمة بن نُفَيْل السَّكُونِي ثم التَّراغُمِي. وهو من حضرموت، أصله من اليمن، وسكن حمص. حديثه عند أهل الشام. وروى عنه ضَمْرَةُ بن حَبِيب، وجُبَيْر بن نُفَيْر، وله في النسائي حديث، يُقال: ما له غيرُه^(١).

(١) انظر «الإصابة في تمييز الصحابة» ٣/ ١٣٠.

معاني الغريب:

قال السندي: قوله: أذال الناس الخيل: الإذالة: الإهانة، أي: أهانوها واستخفوا بها، بقلّة الرغبة فيها، وقيل: أراد أنهم وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها.

يُزِغ: يُمِيلُ.

أفناداً: أي: جماعات متفرقين.

وعقر دار المؤمنين: قال ابن الأثير: أي أصله وموضعه، كأنه أشار به إلى وقت الفتن: أي يكون الشام يومئذ آمناً منها، وأهل الإسلام به أسلم.

المعنى الإجمالي للحديث

الجهاد ماض إلى يوم القيامة

الظاهر من هذا الحديث أنه جاء في أواخر العهد المدني بعد فتح الجزيرة العربية، فظن بعض الصحابة أن الأمر قد استقر للمسلمين، وأن القتال في سبيل الله قد انتهى، فقال أحدهم للنبي ﷺ: يا رسول الله، وضع الناس السلاح، وأهانوا الخيل، وذلك بتحويلها من رباطها في سبيل الله، وتخصيصها للجهاد، إلى استعمالها في الحرث والزرع. فرد عليهم النبي ﷺ، فقال: كذبوا، وبين لهم أن الجهاد فريضة محكمة، وأنه ماض إلى يوم القيامة، وأن الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة بمعنى تشريفها وتكريمها بالجهاد. وأنه ستظل طائفة من هذه الأمة تحمل لواء الإسلام إلى يوم القيامة، وسيكون هناك فتوحات عظيمة على يد هذه الطائفة، يدخل

على إثرها الناس في دين الله أفواجاً، وهو المقصود بقوله ﷺ: وَيُزِيغُ اللَّهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ.

وبين لهم أنه قد أوحى إليه أنه قريباً سيلحق بالرفيق الأعلى، فليس ذلك نهاية الأمر ونهاية نشر الإسلام، فالإسلام هو الدين الخاتم للرسالات، فهو للناس كافة على مر الزمان، فلا يقف عند قطر، ولا عند زمن، ولا عند شخص.

لذا نجد أن الصحابة رضوان الله عليهم قد انتشروا في الأرض ينشرون الإسلام، ويفتحون البلدان، حتى وصلت جيوشهم أقاصي الأرض شرقاً وغرباً. وتبعهم المسلمون على ذلك عبر التاريخ يجاهدون في سبيل الله، سواء بالدفع - دفاعاً عن الإسلام والمسلمين - أو بالطلب يفتحون البلدان في شرق الأرض وغربها.

وفي عصرنا هذا إذا أردنا أن نسترد ما سلب من أرضنا ومقدساتنا في فلسطين، فلا بد لنا أن نسير على هدي نبينا ﷺ في الجهاد، فإن العدو الصهيوني لا يفهم إلا لغة السيف، وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وكما أثبتت الأيام أن المسار السلمي لم يجد شيئاً، ولم نستعد فيه حقاً ولا أرضاً.

دولة المسلمين وسلطانهم في الشام

ثم بين لهم النبي ﷺ أنه سيكون هناك فتن بين المسلمين يضرب فيها بعضهم رقاب بعض، لكنه أراد ﷺ أن تكون سيوف المسلمين موجهة إلى الجهاد في سبيل الله، فوجه أنظارهم إلى الفتوحات القادمة خارج الجزيرة العربية، وعلى رأس هذه الفتوحات فتح بلاد الشام، لأن الشام ستكون هي

دولة الإسلام والمسلمين، وفيها مركز حضارتهم ومنطلق فتوحاتهم فيما بعد، فقال: وعقر دار المؤمنين الشام.

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- الجهاد ماض إلى يوم القيامة.
- ٢- دعوة الأمة إلى تحصيل عدة الجهاد وأدواته، فالله تعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].
- ٣- فيه بشارة بأن الله سيفتح قلوب العباد لهذا الدين، وسينقلبون من أعداء له إلى أولياء، ومن محاربين له إلى محاربين معه.
- ٤- فيه بشارة بفتح بلاد الشام، وأنه سيكون فيها دولة الإسلام ومنطلق حضارته، وعلى الأخص بيت المقدس منها.
- ٥- وفي الحديث تحذير من الفتن التي ستقع بين المسلمين، ويضرب بعضهم فيها رقاب بعض.
- ٦- يوجه اهتمام المسلمين إلى جهاد أعدائهم بدلا من التوجه إلى بعضهم البعض.
- ٧- أن هذه الأمة هي آخر الأمم، وستبقى على الحق، ترفع لواءه، وتنشر رسالته إلى قيام الساعة.
- ٨- وفيه توجيه للدعاة ألا يلقوا بالاً للمرجفين، ولا للمتخاذلين، وأن يواصلوا عملهم في توجيه الأمة بأن عزتها وكرامتها، واسترداد مكانتها، واستنقاذ المغتصب من أرضها إنما يكون بالجهاد في سبيل الله.

عيسى عليه السلام يقتل الدجال

بباب لد في فلسطين

٤٠. عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ، وأنا أبكي، فقال لي: «ما يبكيك؟» قلت: يا رسول الله، ذكرت الدجال، فبكيته، فقال رسول الله ﷺ: «إن يخرج الدجال وأنا حي، كفيتكموه، وإن يخرج الدجال بعدي، فإن ربكم ﷻ ليس بأعور، إنه يخرج في يهودية أصبهان، حتى يأتي المدينة، فينزل ناحيتها، ولها يومئذ سبعة أبواب، على كل نقب منها ملكان، فيخرج إليه شرار أهلها، حتى يأتي فلسطين بباب لد، فينزل عيسى عليه السلام، فيقتله، ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة، إماماً عادلاً، وحكماً مقسطاً». رواه الإمام أحمد ٤١ / (٢٤٤٦٧)، وهو حديث صحيح.

التعريف بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

عائشة بنت الصديق أبي بكر التيمية، أم المؤمنين، زوجة النبي ﷺ، أفقه نساء الأمة على الإطلاق. هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبي الله ﷺ قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة

عشر شهراً، وقيل: بعامين. ودخل بها في شوال سنة اثنتين، منصرفه - عليه الصلاة والسلام - من غزوة بدر، وهي ابنة تسع. فروت عنه: علماً كثيراً، طيباً، مباركاً فيه. وعائشة ممن ولد في الإسلام، وهي أصغر من فاطمة بثمانين سنين، وكانت تقول: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين. توفيت في المدينة سنة ٥٧ للهجرة^(١).

معاني الغريب

النقْب: الطريق بين جبلين

يهودية أصبهان: أصبهان، ويقال: أصفهان مدينة في وسط إيران تقع على نهر زابنده، كانت قديماً تتألف من مدينتين متجاورتين: جَيّ واليهودية، التي سميت باسم اليهود الذين سكنوها بعد السبي البابلي سنة ٥٨٦ قبل الميلاد. وما زال يسكن المدينة آلاف من اليهود إلى الآن.

بباب لد، لد: مدينة بفلسطين تقع على بضعة أميال جنوب شرق يافا، وحوالي ثلاثة أميال شرق توأمها الرملة، قال ياقوت: بابها يدرك عيسى ابنُ مريم الدجال فيقتله.

المعنى الإجمالي للحديث

بشارة القضاء على الدجال

في هذا الحديث دلالة على مدى اهتمام النبي ﷺ بموضوع الدجال، وتحذير أمته منه، حتى وصل بعائشة رضى الله عنها البكاء خوفاً من إدراكها

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٢/ ١٣٥.

ظهوره، فأراد النبي ﷺ أن يُسرِّي عنها، وأن يطمئن أصحابه، فبين لهم جملةً من البشائر الحاسمة بنهاية فتنة الدجال:

الأولى: قوله: **إِنْ يَخْرُجُ الدَّجَالُ وَأَنَا حَيٌّ، كَفَيْتُكُمْوه**. فبين لهم أنه سيتولى أمر القضاء على الدجال إن ظهر في حياة النبي ﷺ، وفيه دلالة على أن وقت ظهور الدجال كان خفياً على النبي ﷺ، وأنه متوقع ظهوره في أي زمان.

الثانية: بيّن صفته حتى يعلمه من يُدرّكه، فلا يفتن به، ولا يلتبس عليه أمره، فهو أعور، ويدّعى الألوهية وهو على هذه الحالة من النقص. وفيه دليل على كذبه وادعائه بالباطل، ولذلك سمي الدجال، وهي المبالغة في الكذب والتضليل.

الثالثة: بشر النبي ﷺ بقتله، والتغلب عليه والخلاص من شروره وآثامه، وبين من الذي سيقتله، وهو عيسى عليه السلام، وبين المكان الذي يقتل فيه، وهو مدينة اللد في فلسطين، وبين أن اليهود سيكونون جيشه وخاصته، وأنهم سبعون ألفاً من يهودية أصفهان.

الرابعة: أن هناك أربعة أماكن معصومة منه، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد (٢٣١٣٩) بإسناد صحيح، أن النبي ﷺ قال: «أنذرتكم المسيح، وهو ممسوح العين. ثم قال: لا يأتي أربعة مساجد: الكعبة، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى، والطور».

الخامسة: أن الأمن والسلام والإسلام سيعم البلاد والعباد سنوات طويلة بعد مقتل الدجال، وذلك على يد نبي الله عيسى عليه السلام.

فلسطين مقبرة الدجال وجنوده

وقد بين النبي ﷺ في هذا الحديث أن نهاية الدجال ستكون في أرض فلسطين، وكذلك اليهود الذين سيأتون معه من يهودية أصبهان، وما زال اليهود في أصبهان قبل الإسلام إلى يومنا هذا، ثم يأتون في آخر الزمان مع الدجال إلى فلسطين ليتم القضاء عليهم^(١).

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١- في الحديث كشف عن صفة الدجال، وأنه كذاب، وبيان علامات الكذب.
- ٢- طمأنة المسلمين بأنهم معصومون من الدجال في حياة النبي ﷺ، وبعد مماته، أما في حياته لتولي النبي ﷺ أمره، وبعد مماته بالتعريف بصفاته وصفة أتباعه ومقتله.
- ٣- فيه بشارة بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وأنه سيقتل الدجال، وأنه سيحكم بالإسلام.
- ٤- أرض فلسطين أرض الطهر والبركة، وفيها مصارع الجبابرة والطغاة. وأعظمها مصرع الدجال وأتباعه من اليهود.
- ٥- وفي هذا الحديث توجيه للدعاة والعلماء أن يعلموا الناس مثل هذه البشائر، ويحذروهم من هذه الفتن، ويبينوا لهم مكانة بيت المقدس، وهذه الأرض المباركة.

(١) وقد سبق الكلام مفصلاً في حديث قتال اليهود.

قائمة المراجع

١. الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
٢. أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٣. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ.
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار ابن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٦. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي
الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة
عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٧. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري
ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن
التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى،
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٨. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن
أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق محمد علي
النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت -
لبنان.
٩. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي
البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد
سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
١٠. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف،
أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي
المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة
الرسالة - بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ م.
١١. تهذيب موسوعة الفتن وأشراف الساعة، الدكتور همام عبد الرحيم
سعيد، والدكتور محمد همام ملحم، والدكتور هيثم عبد الغفور
صبري، دار البيان، الطبعة الأولى ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٦ م.

- ١٢ . الرسالة، للإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ / ١٩٤٠م.
- ١٣ . سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، ومحمد كامل قره بللي، وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ١٤ . سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ١٥ . سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ١٦ . سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٧. صحيح البخاري، (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة العالمية - دمشق الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.

١٨. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.

١٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، تحقيق عادل مرشد، وسعيد اللحام، وهيثم عبد الغفور، وأحمد برهوم. مؤسسة الرسالة العالمية.

٢٠. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥ هـ)، دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

٢١. كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض.

٢٢. المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، أبو عبد الرحمن أحمد ابن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.
٢٣. المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن محمد ابن حمدويه، الحاكم النيسابوري، (المتوفى: ٤٠٥هـ)، طبعة دار المعرفة - بيروت، والمصورة عن الطبعة الهندية.
٢٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٥. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٦. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٢٧. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢

٢٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي.

فهرس المحتويات

المقدمة	٥
موضوعات الكتاب	٧
منهجنا في هذا الكتاب	٨
فريضة العلم	
١- مثل العالم العامل	١٣
مثل العلماء الربانيين العاملين	١٤
مثل العلماء الحفاظ	١٥
مثل المعرضين عن الهدى والعلم	١٥
٢- الإخلاص في طلب العلم وتعليمه	١٧
لا تقبل الأعمال إلا بالإخلاص	١٩
مصير المقاتلين رياءً	١٩
مصير العلماء المرأئين	٢٠
مصير المنفقين رياءً	٢٠
منزلة الأعمال الثلاثة في الحياة	٢١
٣- العلماء عصمة الناس من الضلال	٢٢
دور العلماء في إرشاد الأمة	٢٣
من صفات العلماء الربانيين	٢٤
واجب الأمة في تكوين العلماء ورعايتهم	٢٥
تمكين العلماء من أداء رسالتهم	٢٥
فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	
٤- التعريف بالإسلام	٢٩
غربة الإسلام في أول الأمر	٢٩
أتباع الدين النزاع من القبائل	٣٠
زوال الغربة	٣٠
عودة الغربة	٣١

٣١.....	غربة الإسلام في هذا العصر وزوالها
٣٣.....	٥- النهوض بالامة
٣٤.....	تحذير الأمة من مطامع الأمم فيها
٣٤.....	سبب مطامع الأمم في هذه الأمة
٣٥.....	أطماع الأمم بها في هذا العصر
٣٥.....	النهوض بالامة
٣٧.....	٦- نجاة الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٨.....	المقصود بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحكمهما
٣٨.....	مثل المصلحين والمفسدين في المجتمع
٣٩.....	فرض مدافعة الباطل
٤٢.....	٧- فرض الدعوة إلى الله وعقوبة القعود عنها
٤٣.....	فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤٤.....	معاني أخرى للآية
٤٥.....	عقوبة التقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤٧.....	٨- الفرق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤٨.....	رفق النبي ﷺ ورأفته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤٩.....	الكلام في الصلاة يبطلها
٤٩.....	من أدب التحديث عن رسول الله ﷺ
٥١.....	٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأماكن العامة
٥١.....	حق الطريق
٥٢.....	أولاً: غضر البصر
٥٣.....	ثانياً: كف الأذى
٥٣.....	ثالثاً: رد السلام
٥٤.....	رابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٥٦.....	١٠- الداعية لا يخشى في الله لومة لائم
٥٦.....	احتمال الأذى في مواجهة المنكر والصبر عليه
٥٨.....	كشف المؤامرات الدولية على فلسطين وأهلها
٥٨.....	من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا العصر
٦٠.....	١١- فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأولي الأمر

- ٦٠..... فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل ذي سلطان
- ٦١..... أنواع البطانة
- ٦٢..... اختيار نواب الأمة
- ٦٢..... اختيار مستشاري المؤسسات
- ١٢- تمثّل الدعاة بما يدعون إليه ٦٤
- ٦٥..... عقوبة من يخالف فعله قوله
- ٦٦..... الكبائر هي سبب دخول النار
- ٦٦..... محافظة الدعاة على فضائل الأعمال ونوافل العبادات
- فريضة الجهاد في سبيل الله**
- ١٣- الجهاد في سبيل الله أفضل القربات إلى الله ٧١
- ٧١..... الجهاد لا يعدله شيء من الأعمال
- ٧٢..... فقه الأولويات عند الصحابة
- ١٤- منزلة المجاهدين في الجنة ٧٤
- ٧٤..... أصل دخول الجنة ودرجات المجاهدين فيها
- ٧٥..... الفردوس الأعلى أعظم المنازل في الجنة
- ١٥- تمنى الشهادة في سبيل الله وفضلها ٧٧
- ٧٨..... رافة النبي ﷺ بأمته
- ٧٨..... تمنى النبي ﷺ للشهادة وإدراكه لها
- ٧٩..... لذة الشهادة في سبيل الله
- ٨٠..... جواز تمنى الشهادة
- ١٦- فضل الرباط في سبيل الله ٨٢
- ٨٤..... معنى الرباط
- ٨٥..... صور أخرى للرباط
- ٨٥..... فضل الرباط
- ١٧- فضل من اغبرت قدماء في سبيل الله ٨٨
- ٨٨..... فضل المشقات التي يجدها المجاهد
- ٨٩..... فضل المرابطين والمجاهدين في بيت المقدس وغزة
- ٨٩..... الدعوة إلى الله جهاد
- ١٨- فضل من جهز غازياً في سبيل الله أو خلفه في أهله بخير ٩١

٩١.....	فضل دعم المجاهدين ورعاية أهليهم
٩٢.....	فضل رعاية أسر الأسرى والشهداء
٩٤.....	١٩- القتال في الإسلام لتكون كلمة الله هي العليا
٩٥.....	أهداف القتال في الإسلام
٩٧.....	التاريخ الأسود للحروب عند الأمم الأخرى
١٠٠.....	٢٠- قتال اليهود
١٠١.....	مجيء اليهود مع الدجال وقتالهم
١٠١.....	قتال اليهود قبل مجيئهم مع الدجال
١٠٤.....	٢١- من أسباب النصر في الإسلام
١٠٥.....	من أسباب النصر
١٠٥.....	أولاً: الاعتماد على الله والتوكل عليه
١٠٦.....	ثانياً: الصبر على العدو وعدم تمني لقاءه
١٠٧.....	ثالثاً: الدعاء عند لقاء العدو
١٠٩.....	رابعاً: الإعداد مع الصبر والدعاء
١١٠.....	٢٢- من أخلاق الإسلام في الجهاد
١١١.....	من أخلاق الإسلام في الجهاد
١١١.....	أولاً: تقوى الله
١١٢.....	ثانياً: عدم الغلول
١١٢.....	ثالثاً: عدم الغدر
١١٣.....	رابعاً: عدم المثلة
١١٣.....	خامساً: عدم قتل الأطفال والنساء والشيوخ
١١٣.....	من انتهاكات اليهود لحقوق الإنسان في فلسطين
١١٦.....	٢٣- من أخلاق النبوة في معاملة الأسرى
١١٧.....	رأفة النبي ﷺ ورحمته بالأسرى
١١٩.....	أثر معاملة النبي ﷺ لثمامة
١٢٠.....	من حقوق الأسرى في الإسلام
١٢٠.....	انتهاكات اليهود لحقوق الأسرى الفلسطينيين
١٢٥.....	٢٤- الجهاد بالمال والإعلام
١٢٦.....	الجهاد بالمال

أجر الجهاد بالمال	١٢٧
من صور الجهاد بالمال	١٢٧
الجهاد بالنفس	١٢٩
الجهاد الإعلامي	١٢٩
صورة واقعية للحديث	١٣٠
فريضة تحقيق البشائر بانتصار الإسلام	
٢٥- ملك أمة الإسلام سيبلغ مشارق الأرض ومغاربها	١٣٥
انتشار الإسلام في الأرض كلها	١٣٦
امتلاك الإسلام للثروات	١٣٧
دعوات النبي ﷺ الثلاث	١٣٨
الدعوة الأولى	١٣٨
الدعوة الثانية	١٣٨
الدعوة الثالثة	١٣٩
٢٦- عزة الإسلام وذلة الكفر	١٤١
دخول الإسلام كل بيت على وجه الأرض	١٤٢
الإسلام يعز أهلله	١٤٣
٢٧- البشارة بانتشار الأمن في بلاد المسلمين	١٤٥
بشائر التمكين والأمن للمسلمين	١٤٧
تحقق بشارتين في زمن عدي	١٤٨
تحقق البشارة الثالثة في زمن عمر بن عبد العزيز	١٤٩
فتح باب الأمل لأمة الإسلام	١٤٩
٢٨- البشارة بقيام دولة الإسلام	١٥١
مدة دولة الإسلام الأولى	١٥٢
مدة دولة الإسلام الثانية	١٥٣
٢٩- بقاء الإسلام إلى قيام الساعة	١٥٦
المقصود باثني عشر خليفة	١٥٦
قيام الدين في دولة الخلافة عبر التاريخ	١٥٨
تجديد الإسلام	١٥٩
البشائر بانتصار الإسلام	١٥٩

فريضة تحرير بيت المقدس والمحافظة على بلاد الشام

- ٣٠- ثاني مسجد وُضع في الأرض ١٦٣
- المسجد الأقصى ثاني مسجد وضع في الأرض ١٦٤
- قَدَم المسجدين ١٦٤
- تجديد إبراهيم للبيت الحرام ١٦٥
- الأرض كلها مسجد للصلاة ١٦٥
- المسجدان للمسلمين ١٦٥
- ٣١- مسرى رسول الله ﷺ ١٦٨
- الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس ١٦٩
- الصراع بين المسلمين وبني إسرائيل ١٧٠
- تكذيب قريش للحادثة وتصديق الله لرسوله ﷺ ١٧٠
- لقاؤه ﷺ بالأنبياء ووصفه لهم وصلاته بهم ١٧٢
- ٣٢- أول قبلة للمسلمين ١٧٥
- قبلة المسلمين الأولى ١٧٦
- إفساد اليهود في المدينة ١٧٧
- استجابة الصحابة إلى تحويل القبلة ١٧٨
- ٣٣- فضل الصلاة في المسجد الأقصى ١٧٩
- اهتمام الصحابة بالمسجد الأقصى وفضل الصلاة فيه ١٧٩
- فضل مجاورة ومشاهدة بيت المقدس ١٨٠
- حال حوض بيت المقدس هذه الأيام ١٨٠
- ٣٤- ثالث المساجد التي تُشد إليها الرحال ١٨٢
- المقصود بشد الرحال إلى المساجد الثلاثة ١٨٢
- تيسير السبل إلى هذه المساجد ١٨٣
- ٣٥- البشرى بفتح بيت المقدس ١٨٥
- البشارة بفتح بلاد الشام ١٨٦
- فتح بيت المقدس من علامات الساعة ١٨٦
- من علامات الساعة ١٨٧
- ٣٦- الملائكة باسطة أجنحتها على الشام ١٨٩
- الشام أرض البركة ١٩٠

١٩١	الشام أرض الإيمان
١٩٣	٣٧- صلاح أهل الشام صلاح الأمة
١٩٣	أهل الشام أهل الخير
١٩٤	من صفات الطائفة المصورة وشروطها
١٩٧	٣٨- الإيمان في الشام حين تَقَعُ الفتنُ
١٩٨	تمكين الدين في الشام
٢٠٠	٣٩- عُقْرُ دار المؤمنين الشام
٢٠١	الجهاد ماض إلى يوم القيامة
٢٠٢	دولة المسلمين وسلطانهم في الشام
٢٠٤	٤٠- عيسى عليه السلام يقتل الدجال بباب لد في فلسطين
٢٠٥	بشارة القضاء على الدجال
٢٠٧	فلسطين مقبرة الدجال وجنوده
٢٠٩	قائمة المراجع
٢١٥	فهرس المحتويات